**العيش على حلم**

**رأفت عادل**

**العيش على حلم**

**الطبعة الأولى 2019**

**الترقيم الدولي :**

****

[**insanfirst@gmail.com**](mailto:insanfirst@gmail.com)

**00201113393920**

**محلة مرحوم – بجوار السنترال العمومي .**

**تصميم الغلاف : احمد نعيم عميرة**

**المدير العام : طارق عميرة**

العيش على حلم

**رواية**

**رأفت عادل**

****

**الحلم يبقى حلم يمكن أن يكون حلم وردي فقط  
نحن بعيدين عن وضع الأهداف في حياتنا   
لهذا نفضل العيش على حلم..**

**المؤلف**

**الفصل الاول**

**(سماء بغداد)**

**(1)**

**بدأ القصف بصورة محدودة بتاريخ**[**19 مارس**](https://ar.wikipedia.org/wiki/19_%D9%85%D8%A7%D8%B1%D8%B3)[**2003**](https://ar.wikipedia.org/wiki/2003) **على مدينة بغداد ، إذ كان القصف عبارة عن محاولات لقتل الرئيس العراقي السابق كما يقال في وسائل الاعلام العالمي واستمر الحال إلى** [**21 مارس**](https://ar.wikipedia.org/wiki/21_%D9%85%D8%A7%D8%B1%D8%B3)**، حيث حلقت فوق سماء بغداد الطائرات التابعة لقوات التحالف، وهي تقوم بطلعات جوية عسكرية، ألقت حينها ما يقارب 500 من صواريخ كروز، وتم غزو**[**بغداد**](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A8%D8%BA%D8%AF%D8%A7%D8%AF)**بعد ثلاثة أيام من**[**معركة المطار**](https://ar.wikipedia.org/w/index.php?title=%D9%85%D8%B9%D8%B1%D9%83%D8%A9_%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%B7%D8%A7%D8%B1&action=edit&redlink=1)**.**

**الظلام يعم أرجاء المنزل، و أصوات تقشعر لها الأبدان، وتبث الخوف حين تدخل إلى المسامع من دون إستئذان، إنها أصوات دوي سقوط القنابل على أهداف و مواقع حددت، لها تأثير في إقتصاد البلاد، منها عسكرية، وأخرى مصادر للطاقة ، كنا جالسين تحت سقف واحد أنا، و أَفراد عائلتي المكونة من خمسة أفراد ، وهم أنا فادي، و أخي سامر، وهو الاصغر، وأختي رنا، وهي البنت البكر، وأمي و أبي، أذ إني لم أشاهدهم من قبل جالسين بهذه الصورة، ونحن ننتظر المجهول ، ما أجمل بيتنا و ما أحبه لنفسي! فأم حنون، و أب رؤوف، و أخ حبيب، و أخت عطوف أفراد أسرتي تجمعهم هذه الكلمات اللطيفة كما تجمع الوردة اللون الجميل و العطر الزكي ، بيتي فيه الدفء، و فيه الأمان، و فيه الظل، وفيه السرور، هنا مجلسنا للطعام، و هنا ركن الدرس و العمل، و هنا ملعبنا ما أبهى البيت! كل شيء فيه جميل، و كل وجه فيه حبيب. هذه أمي تحضنني باسمة، و هذا أبي يضحك مسروراً، و ذاك أخي يعانقني فرحاً، و تلك أختي تقبلني ضاحكة مستبشرة، بيتنا يتكون من غرفتين، و مطبخ، وفيه باحة صغيرة، يقع فيها السلم، وتحته بَيت الخَلاء، و بجواره الحمام كانت مساحه المنزل هي سبعين متراً، والبيوت متراصفة، منزل بجنب منزل بصورة متلاصقة، يشارك بعضهم البعض الفرح والحزن، وكل شيء، وكأنهم عائلة واحدة، أنظاري تقع على السلم، أشعر بالملل من الجلوس أمام أبي، وهو يصدر أوامر كي لا نصدر صوتاً او حركة، ذهبت إلى السلم في باحة المنزل متسللاً كي لا يلاحظني أحد، وضعت قدمي على السلم، و كانت أطراف أصابعي هي فقط التي تلامس درجات السلم الهواء يختلف هذه الليلة في سطح المنزل، و وميض سقوط القنابل يضيء السماء مثل البرق، لم أشاهد السماء تتلون بهذه الألوان من قبل، هذه الليلة تختلف !!! رفعت رأسي أنظر إلى السماء تلألأت النجوم في قلب السماء، ورسمت لي حبيبتي بأضوائها كانت مضيئة و** [**جميلة المنظر**](https://www.google.iq/url?sa=t&rct=j&q=&esrc=s&source=web&cd=8&cad=rja&uact=8&ved=0ahUKEwi7g5Sbq8zYAhXqDZoKHXQcDTMQFgg_MAc&url=http%3A%2F%2Fcontext.reverso.net%2F%25D8%25A7%25D9%2584%25D8%25AA%25D8%25B1%25D8%25AC%25D9%2585%25D8%25A9%2F%25D8%25A7%25D9%2584%25D8%25B9%25D8%25B1%25D8%25A8%25D9%258A%25D8%25A9-%25D8%25A7%25D9%2584%25D8%25A5%25D9%2586%25D8%25AC%25D9%2584%25D9%258A%25D8%25B2%25D9%258A%25D8%25A9%2F%25D8%25AC%25D9%2585%25D9%258A%25D9%2584%25D8%25A9%2B%25D8%25A7%25D9%2584%25D9%2585%25D9%2586%25D8%25B8%25D8%25B1&usg=AOvVaw37EbFjz9Z5Q_7JuhToz05S)**، لا يسعني أن المسها، أشاهدها فقط وهي تبتسم، كانت روحي تحاول الهروب مني لتنال منالها، وكان جسدي رافضاً ذلك الأمر، هنا تكمن الصعوبة نحن بعيدون عن أحبابنا، ويداعبنا طيفهم، ريثما نشتاق لهم نبحث عنهم في الطرقات وفي وجوه الناس كيف نراهم وهم اتقنو فن لبس الاقنعة نراهم كل مرة في وجه آخر من ملاك إلى هلاك، مازالو يرقدون في قلوبنا، ومازالت ذاكرتنا المخيفة تعيد لنا شريط حبٍ بين الحين والآخر، وكان عقلي أقسم على أن يهلكني فيهم، ويأسرني لهم في أحلامي، أراهم وفي أذاني همساتهم في كل يوم أذكرهم، وفي مواقف كثرة أراهم كأن الوقت توقف من بعدهم، وكأن الحياة تقتصر عليهم، و الأنفاس تخنقني من بعدهم، كأن الظلام يأسر العالم بعد كل ذلك الظلم نراهم بكل وجه ابتعدو ولم نبتعد، باعوا ومازلنا على ذكراهم باقين، رحلوا ومازالنا ننتظرهم، هم كل الوهم، ونحن نتشبث بوهمهم، ياليت ذلك الموعد لم يجمعنا إذا ذهبت فألم ذكراك مازالت هنا أرجوك لما ترحل، خذ كل ما يخصك مني فلا أقوى على الحفاظ عليها دموعي ملأت طاولة الموعد، ظلك يلاحقني، موعد مزيف ندمت على موعدك وعلى أوجاع ذكراك، أفلحت أن تكسرني، حطمت ذلك القلب الذي أحتضنك، اليوم كان مناسبة كبيرة لي، في هذا اليوم التقيتك لم أستطع منع نفسي من الخروج والاحتفال مع ظلك ، اتنقل من زاوية إلى زاوية لكي أشاهد إِطلاقات مضادات الطيران، وهي تطلق سرباً من الرصاص المتصاعد بطريقه عشوائية، هذا ما كان واضحاً من خلال مسار الضوء الصادر عن هذه الإطلاقات، اتجه أبي إلى السلم على أثر سماع صوت وقوع أَقدام، كان يعتقد وجود شخص غريب فوق سطح المنزل ، سمعت صوت وقوع أقدام صادر من جهة السلم ، يا ويلي إِنهُ أبي، سوف أختبئ، لكن أين؟! لايوجد مكان، فقط سطح الجيران، سوف يكون مكاناً مناسباً سوف أتسلق هذا الجدار، قال ذلك هامس بصوت فقط هو يسمعه، بدأ أبي بصوت مرتفع من أنت، كررها بغضب، ظهرت له وقلت:**

* **أنا يا أبي.**
* **وماذا تفعل في مثل هذا الوقت و أنت على سطح جارنا؟!**
* **اءاءاءاءاءاءاءاء لا شيء يا أبي.**

**تلكأت في كلامي، قام أبي بصفعي و توبيخي، وختم كلامه قائلاً:**

* **اذهب إلى نوم، ولاتكرر مثل هذه الأفعال الطفولية، أَنت الآن كبرت .**

**حينها نمت في تلك اليلة على وسادة قد ابتلت من دموعي، وأنين الصفعة لا يفارق أذني، و كلمة أبي حين ما قال لي: أنت كبرت صداها لا يفارق رأسي، حينها تذكرت عند ما قلت لها إني أحبك، قالت لي (بعدك صغير على الحب) وفي أثناء هذه الخليط من الأَفكار رحت في نوم عميق .**

**وفي بداية يوم جديد قفزت من نومي، في وقت غير معتاد فيه على الاستيقاظ مبكراً، نظرت إِلى الساعة المعلقة على أحد جدران الغرفة، حينها كانت عقارب الساعة تشير إِلى السادسة صباحاً على صوت طرقات الباب المفزعة يصاحبها صيحات خالتي التي كانت مرعوبة، و الشحوب يعتلي وجهها الأسمر في صباح يوم من أيام شهر** [**أبريل**](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A3%D8%A8%D8%B1%D9%8A%D9%84) **عام 2003 وهي تنادي أمي بخوف و ارتباك كان واضحاً من خلال حركة كفيها عند ما كانت تضعهما واحدة فوق الآخرى ثم على خدها، فتحت أمي الباب، فقالت خالتي :**

**(خية فرهود ضمي غراضكم لا يطبون عليكم ) .**

**كنت حينها في عمر الخامسة عشر حيث لا أعرف معنى كلمة (الفرهود)، بعد حديث استمر عدة دقائق بين خالتي و أمي، بعدها عادت خالتي أم غايب أدراجها متوجهة إلى بيتها، الذي هو مجاور لبيتنا ، قمتُ من فراشي مستفسراً عن هذه الكلمة، سألت أمي عن معنى كلمة (فرهود) ، أجابتني أمي موضحة أنها عملية سرقة الممتلكات من قبل عصابات أو مجموعة مخربين؛ وسبب خوف وهلع خالتي هو نتيجة عدم خروجنا من المنطقة مع بقيه الجيران، الذين تركوا بيوتهم خوفاً من الأحداث التي سوف تقع بسبب هذه الحرب، غادر معظم سكان المدينة التي لم تكن تخلو أزقتها من زحمة السكان، التي اصبحت شبه مدينة مهجورة، هذا الهدوء الذي يهيمن على ملامح وجدران هذه المدينة، هدوء يوحي إلى أن المدينة قد حلت عليها كارثة، وهذا ما كان يبث الرعب في نفوس القلة التي لم تغادر بيوتهم ، ثم سألت أبي السؤال نفسه عن معنى كلمة (فرهود)؟ فأجابني قائلاً :**

**- هذه القصة قرأتها في أحد الكتب التي كتبت عن تأريخ العراق الحديث، وهذه الحادثه معروفة بـ )فرهود اليهود) بعد حدوث حركة رشيد عالي الكيلاني في مايس عام 1941، وميلها إلى ألمانيا قبع اليهود بدورهم، وامتنعو عن مزوالة أعمالهم التجارية، خوفاً بعد تعرض عدد منهم إلى الاعتداءات والضرب في الشوارع والطرقات وعند إندلاع الحرب البريطانية العراقية، التي كانت من نتائج الحركة وفشلها هرب رشيد عالي الكيلاني ورفاقه إلى إيران في 29 مايس بعد أن أوكل إلى أمين العاصمة رئاسة لجنة الأمن ببغداد بعد فشل الحركة وهروب قادتها، وعودة الوصي، في 1 حزيران 1941 تنفس اليهود الصعداء وخرجوا بهذا اليوم للاحتفال بعيد النبي يوشع عيد نزول التوراة على اليهود بمرقد النبي يوشع، الذي يقع بالقرب من مطار بغداد المدني ( مطار المثنى ) كما شاركوا أيضاً باستقبال الوصي، وهم مستبشرون بعودته، فحدثت بعض المشاحنات بينهم وبين المسلمين، الذين أعتبرو خروجهم نكاية بالجيش العراقي وخسارته المعركة مع القوات البريطانية، فبدأ بعض من أفراد الجيش بأعمال النهب والسلب للممتلكات اليهودية، التي عرفت بالفرهود، التي بدأت يوم 1 حزيران، وانتهت اليوم الثاني منه، كما تعرض عدد من اليهود إلى القتل أو الاصابة بجروح، بعد هذه الأحداث شكلت الحكومة لجنة حكومية لتقصي الحقائق، وبينت بأن عدداً من أفراد الجيش العراقي، و شاركهم بعض الناس بالكرخ، فنهبوا أربع دور وثلاثة عشر دكاناً، وفي الأعظمية هجم بعض الجنود و عدد من المدنين على بعض البيوت، وفرقتهم الشرطة بعد أن نهبوا أكثر من عشر دور، وفي الكرادة الشرقية أيضاً. ففي يوم 2 حزيران قتلوا ستة من اليهود، وأحد المسلمين الذي كان يحمي دور أحد اليهود من السرقة كما استمرت أعمال السلب والنهب في مناطق أخرى من بغداد، مثل باب الشيخ، والكريمات، ومناطق أخرى يسكنها اليهود، وفقاً للأحصائيات الرسمية فأن عدد القتلى نتيجة أحداث الفرهود بلغت مائة وعشرة قتيل، ومئتان وأربعون جريحاً وسلب ونهب خمسمائة وستة وثمانون مبنى تجاري يهودي فظلاً عن تسعمائة وأحد عشر بيتاً، أما غير الرسمية، فقد كتب رئيس الطائفة اليهودية أيلي خضوري إلى مجلس الوزراء أن خسائر اليهود بلغت بالمحال التجارية مايعادل مئتان و واحداً وسبعون ألفاً و أربعمائة واثنان دينار، وبالبيوت ثلاث ملايين وثمانمائة وثمانية وثلاثون ألفاً وستمائة وثمانية وسبعون ديناراً، وقدم إلى المحكمة عدد من المشاركين بالأعمال النهب، وحكمت بإعدامهم ونفذ فيهم، كما أن المنظمات السرية الصهيونية استغلت الحادث لتشجيع اليهود على الهجرة من العراق بعد ذلك، وقد ردد البعض من المستفيدين من الفرهود (حلو الفرهود كون يصير يومية ) .**

**بعد أن اكمل أبي حديثه خرجت من البيت متوجها إلى الشارع الرئيسي للمدينة، الذي يبعد مسافه ثلاث دقائق عن بيتنا، سمعت صوت ينادي من داخل الدار، وهو صوت أمي تقول:**

* **يا ابني إلى اين أنت ذاهب في هذا الوقت المبكر و الوضع غير مطمئن ؟**

**حينها رجعت متذمراً من كلام أمي، و طلبت منها إعداد وجبة فطور، ماهي الآَ دقائق، وأثناء انشغال أمي بأعداد الطعام لي، خرجتُ خلسة، مستغلاً انشغالها في المطبخ، توجهت إلى الشارع مهرولاً، تاركاً خلفي باب الدار مفتوحاً ، عند وصولي إلى الشارع الرئيسي كان الشارع خالياً من المارة، ولكن لا يخلو من بعض القطط التي تحوم حول كوم من القمامة ، تعبث بها بحثا عن رأس سمكة، أو عظم تسد به جوعها، و صوت العصافير الذي كسر صمت المكان، و الشمس مشرقة في سماء زرقاء وأشعتها تخترق نوافذ البيوت، ونسمات من الهواء الممزوج برائحة الدخان، الذي أصبح مثل كحل سال من عين معشوقة بكت على فراق عشيقها مصدر هذا الدخان هو من نتاج هذه الحرب ، مضى على وقوفي دقائق، و أنا أنظر إلى مدرستي التي كانت تطل على هذا الشارع، وأنا أتساءل في داخلي: متى تعود الحياة فيها، وألتقي مع زملائي والأساتذة الذي مضى على فراقهم عده أيام؟ جلست، ثم قطع سلسلة أفكاري صوت تحية، وكان مصدرها أبو سلام، وهو حارس هذه المدرسة يحمل معه بندقيته، كان يسكن في بيت قريب من المدرسة، نهضت من مكاني، ورددت التحية له، ثم قال:**

**ماذا تفعل في مثل هذا الوقت؟ اذهب إلى المنزل، لكي لا يقلق عليك أهلك .**

**قال ذلك، وهو مستمر في مسيره ، لم أغادر، بقيت متسمراً في مكاني، ثم جلست على رصيف الشارع، واستمريت بالجلوس كأن شيئاً ما يمنعني من الذهاب إلى البيت ، وبعد لحظات مرت من أمامي ثلاث مركبات من نوع بيك آب بيضاء اللون، منصوب فوق كل سيارة رشاش من العيار المتوسط نوع بيكيسي ((BKC، في كل سيارة خمس أشخاص، والأشخاص كانوا يرتدون زي مغاير تماماً للزي العسكري الرسمي، يرتدون الأقنعة لكي يخفوا وجوههم ، كانت مركباتهم تسير بسرعة متهورة، كانت أنظاري تراقب هذه المركبات التي توقفت فجأة، انبعثت أصوات عالية إنها مكابح العجلات ، على بعد مسافة قليلة كان يمكنني مشاهدة ما يحدث، كان وقوفهم أمام بناية حكومية كتبت فوق بوابتها الرئيسية بخط عريض (مصرف الرافدين) ، ترجلوا من العجلات متفرقين بشكل منتظم، وعدد منهم قام بكسر أقفال الباب الرئيسي، و اقتحم المصرف!!! و انتشر عدد منهم في الخارج، مانعين كل من يحاول الأقتراب أو الدخول إلى المصرف في هذه اللحظات كان أبو سلام قريباً من بوابة المصرف، فتوجه أبو سلام نحوهم، مستفسراً عن سبب اقتحامهم المصرف بهذه الطريقة غير لقانونية بحكم قرب المدرسة عن المصرف، منعوه من الاقتراب أكثر، شاهرين أسلحتهم تجاهه، وقبل أن يقوم لمس زناد بندقيته تم إطلاق النار عليه من قبل أحد أفراد هذه العصابة ، صوت الأطلاقة النارية أفزعت كل من كان قريباً من هذا المكان، ومن ضمنهم أنا ، سقط على إثر هذه الأطلاقة أبو سلام حارس المدرسة، ومن دون تفكير ركضت إلى البيت، وأنا أحمل خبر مقتل أبو سلام الذي كان أحد أفراد منطقتي ، وعند وصولي إلى البيت، وأنا ألهث، وأتنفس بصعوبة بالغة انحنيت ماسكاً ركبتي، و فتحت فمي مع منخري لأدخال أكبر كمية من الهواء الى رئتي، وأنا اتصور لحظة سقوط أبو سلام ، سألتْ أمي عن مصدر هذا الصوت، وهو صوت الإطلاقة وعن سبب تنفسي السريع، فأجبت قائلاً:**

* **لقد قتلوه .**
* **مَن قتلَ؟ مَن أجب ؟**

**قالتها بنبرة صوت عالٍ، وعلامات الخوف والارتباك ارتسمت عليها.**

* **أبو سلام لقد قتلوا أبو سلام.**

**كانت تحمل إناء زجاجياً سقط من يدها، أصدر صوتاً، خرج أبي من الغرفة على إثر سماعه صوت تكسر الأناء، وعلى وجهه علامات الدهشة والاستغراب، قال متسائلاً:**

* **ما الذي حصل؟**

**ومن دون مقدمات، قالت أمي :**

* **لقد قتلوا أبو سلام حارس المدرسة، صديقك.**
* **أين، ومتى، ومن قتله ؟**
* **لا أعلم .**

**قالتها، والدموع سبقت الكلام، توجه أبي على عجلة إلى الغرفة قام بتغير ملابسه و خرج مسرعاً متوجهاً إلى دار أبو سلام بخطوات متعثرة، وهو يستذكر لحظات التي عاشاها مع صديق العمر أيام الدراسة و العسكرية التي قضياها معاً في حلوها ومرها نزلت دموعه من دون أن يشعر، ما زالت الذاكرة تعاد في ذهنه مثل شريط سينمائي، انقطع هذا الشريط السينمائي حين وصوله إلى بيت صديقه أبو سلام، لحظ أبي أن باب الدار مفتوح على مصراعيه، وعلامات الهلع واضحة على ملامح المنزل ، وإذا بصوت يناديه لقد ذهبوا جميعهم إلى مكان الحادث لقد رأيتهم كلهم هناك، كان صوت أحد شباب المنطقة ، توجه بسرعة إلى الشارع الرئيسي، شاهد على بعد مسافة تجمع الناس، وصوت العويل، والبكاء صادراً عن مكان التجمهر، اقترب أكثر من مكان الحادث ، راودته أفكار و أحاسيس مصحوبة بقشعريرة تسري في بدنه، وهو يشاهد صديقه وجاره معلقاً على أحد الأعمدة، و وضعت عليه قطعة من الورق كتب عليها (هذا مصير كل خائن)!! وبكاء زوجته و ابنائه وهم ينادون أباهم ، كانت أنظاره تتنقل بين وجوه الواقفين، وعلامات الخوف بادية على وجوههم الحزينة، ألم يكن أبو سلام انساناً نبيلاً تربطه بهم علاقة طيبة، ساهم في كل أفراحهم وأحزانهم، وتدخل أحياناً في حل مشاكلهم كان نزيهاً في تعامله معهم، لايفرق بينهم، وكان كريماً في كل شيء، يساعد الناس، ويلبي طلب المحتاج، لايساوم على مبادئه، كان قوياً في شخصيته، مقلاً في كلامه، ينصح من يحتاج إلى النصيحة ولايتدخل في شؤون غيره محباً للجميع، وكان عطوفاً متسامحاً حتى مع من يخطأ بحقه، يهتم كثيراً باطفال المحله وخصوصاً الفقراء منهم، كثيراً ما تألم لمنظر أحد ألاطفال، وهو يرتدي ملابس رثة عند تواجده في المدرسة ، كان كلامه مسموعا عند الاخرين، هذه الأسباب التي جعلت الناس وأقرباءه يفزعون بانزاله، ولم يهتم أحد منهم إلى تلك الورقة التي كتب عليها: (هذا مصير كل خائن سيعلق كل من يحاول إنزاله) تم إنزاله ، تحت أنظار الجميع ، الناس متجمهرون، و آخرون منشغلون بسرقة ما تبقى في بناية المصرف من أثاث و أوراق نقدية من الخردة التي تركوها السراق، غير مكترثين لهأ فالمبالغ التي كانت بحوزتهم من العملة الصعبة ، كانت الفوضى تهيمن على ملامح هذا المكان ، اقترب أبي من جثة صديقه، وعيناه تمطر الدموع على خده، تساءل وهو في حالة هستيرية لماذا قتلوه وراح يشتم ويسب من كان السبب في قتل صديقه وهو أبو سلام ، عاد أبي إلى البيت وهو مهموم و متعب بسبب هذه الحادثة وهو يشكو ألماً في مقدمة رأسة، حاولت أمي أن تعد له الفطور، ولكنه لم يتناول شيئاً منه، تحدث مع أمي عن الفوضى التي حدثت، وعن المنظر المرعب الذي رَأَى صديقه وهو معلق على العمود، وبقعة الدم التي لونت الأ رض، واللصوص الذين سرقوا ممتلكات البلاد ما هذه الفوضى؟ كنت جالساً أَمام أبي، وهو يتكلم على السنين التي قضاها في رفقت صديقه المغدور، قال أبي وهو يتساءل:**

* **ولكن أين ذهب حراس المصرف، وهم ضرغام و صبار أليس من المفترض أَن يكونوا متواجدين في المصرف لغرض حمايته من السرقة ؟**

**لم يجب أحد عن هذا السؤال، فأَردف قائلاً:**

* **من الذي قتل أَبو سلام هذا الرجل الطيب؟ ومن سرق المصرف؟**

**أكمل حديثه ثم ذهب إلى الغرفه وأستلقى على ظهره، وهو يتمتم بكلام لم أَستطع فهمه.**

**(2)**

**خرجت من المنزل متجهاً إلى الشارع مع بعض أصدقائي، الذين كانوا يتحدثون عن الأوضاع التي حلت على البلاد، و في أَثناء ذلك كنا جالسين على جانب الطريق الذي في الشارع الرئيسي لمدينتنا، دخل إلى مسامعنا صوت طائرات، شيئاً فشيئاً اقترب هذا الصوت حتى اتضح لنا ظهور طائرتين من نوع هيلكوبتر، و بدأت تحوم في سماء مدينتي فوق المنطقة، التي يقع فيها مبنى المصرف، ومركز الشرطة، و المستشفى، كانت هذه البنايات لا تفصل بينهم سوى بضعه أَمتار وماهي الا دقائق، ومازالت الطائرات تحلق في السماء بصورة منتظمة، ومن جهة السدة الترابية ظهر رتل عسكري لقوات التحالف الأمريكية كما كانت تسمي نفسها، وبمعنى أَصح هي قوات الاحتلال، وهي أَول مرة يدخلون فيها هذه المدينة، وهذه الرتل مكون من دبابتين من نوع برامز، و أَربع سيارات من نوع همر، ومدرعتين حاملتا جنوداً يلوحون للناس المتواجدين في الشارع توقفوا أَمام مبنى المستشفى ترجلوا من اَلياتهم، توزعوا بصورة منتظمة، و وضعوا الأسلاك الشائكه عائقاً يمنع الاقتراب منهم ، تجمهرت الناس من حولهم بأعداد كبيرة وبدأَوا يصفقون، وبعد مرور بضع دقائق تحركوا من هذا المكان وكأنهم انجزوا ما جاءوا من أَجله وفي خلال فترة وقوفهم كانت الطائرات تحلق فوقهم ، راودني خليط من الأفكار والمخاوف حول تواجدي في مثل هذا المكان، الذي يوجد فيه أَعداء الوطن أَمريكا، تركت مكاني متوجهاً إلى البيت، وما زلت أَفكر بما كان يقال بحق أَمريكا، واسرائيل، والمحاضرات التي كان يلقيها أَستاذ غالب، الذي كان يرتدي الزي الزيتوني الذي لم يغيره وهو يلقي على مسامعي، ومسامع التلاميذ المتواجدين معي في نفس المرحلة الدراسية الخطابات والهتافات الحزبية الرنانة ، لم انتهيه من استذكار تلك اللحظات شاهدت أَستاذ غالب وهو يصفق، ويبتسم، و فرحاً من تواجد القوات الأمريكيه كنت أنظر له بدهشة وغرابة، إذ لم ينتبه هو الآخر لتواجدي، وأنا أحد تلاميذه، تساءلت في داخلي هل هو حقاً أَستاذ غالب، الذي كان يلعن أَمريكا ويقول: إنها عدوة الشعوب، لم أَصدق، إذ إنه كان يفتخر بانضمامه إلى حزب البعث، وهو أَحد أَزلام النظام السابق ، تقربت منه أَكثر، لكي أَتأكد من ملامحه لأني لم أَراه يرتدي الزي المدني، عسى ولعلي أَكون قد أَخطأَت وهذا الشخص ليس أَستاذي، الذي يعشق الرئيس حتى كان يصفه بـ الأب وأعطاه منزله الأَنبياء، نظرت إليه كان يضع نظارة شمسية فوق رأسه وأَخرى شفافة يضعها في جيب قميصة، نعم هو وجه طويل ، جبين عريض، شعره خفيف أَشيب مشذّب، وممشط بفرْقٍ جانبي، و أذنان ليستا كبيرتين، و شوارب بيض، و أنف متوسط الحجم، و عيناه نرجسيه غائرتان إلى حد ما ، وابتسامة نعم ابتسامه لا يميز هذا الوجه أي ملامح حادة أو عظاماً بارزة رجل متوسط في السن، إنه رجل متوسط في السن فقط ، لاشيء ملفتاً في ملامحه العادية ، كان يصفق بحماس أَلقيت عليه التحية، لم ينتبه لي بسبب الضوضاء التي من حولنا، وضعت يدي اليسرى على كتفه التفت لي، مدتت يدي اليمنى، لكي أسُلم عليه، ضحك بقوة ورحب بي بحفاوة ماسكاً يدي، قلت له :**

* **ماهو سبب ابتهاجك بهم؟**

**وأشرت نحو مكان تواجد القوات الأمريكية.**

* **إنهم قوات التحالف الأَمريكي الذين أَعطوا لنا الحرية بعد الحكم الدكتاتوري .**

**حينها أَعطيته ظهري، و استمريت في المسير، وكانت خطواتي متثاقلة، والذكريات تمر أَمام عيني كيف كان يهتف للنظام والبعث، وكيف كان يصفق ويغني لحزبه، تساءلت كيف تغيربهذه السرعة، هو يقول اليوم إِن أَمريكا هم من أَعطوا الحرية للشعب؟! ماذا حصل ياترى أَليست أَمريكا عدوة الشعوب؟ ما الذي تغير؟ أنا لا اصدق مالذي يحدث ؟! عند وصولي إِلى المنزل، حاولت أَن أَجد جواباً الى أَسئلتي التي لم تفارق رأسي بسبب مارأيت من تصرف أَستاذي الذي كان يلقننا دروساً مملؤةً بحب الوطن والولاء ، بوصف صدام هو الوطن، هو البيت، هو أَلاب هو وهو وهو .... ولكن اتضح أَن كل مايقوله هو كذب وخداع، مجرد كلام ، وأَن القادة هم ليسوا إِلا بشراً يذهبون أو يموتون، وأَن الوطن باق رغم كل الظروف ، دخلت إِلى البيت لم أجد سوى أَمي ،وأَبي، واختي رنا ألتي كانت طالبة في الجامعة المستنصرية كلية الآداب، كانت أَمي مشغولة بأَعمال البيت، وأَبي دخل إِلى الحمام لغرض الاستحمام، وكانت أَختي جالسة مع كتبها و أوراقها، وهي مشغولة بالرسم إِنها تحب الرسم، كانت ترسم أَحدى لوحات الفنان الأيطالي ليوناردو دي سير بيرو دافينشي كتبت وسط أسفل أَلورقة التي ترسم فيها العشاء الاخير قلت:**

* **ماذا تقصدين بـ العشاء الأخير؟ اشرت بيدي على الورقة**
* **العشاء الأَخير، وهو اسم اللوحة، أَوعنوان اللوحة، سمها كما تشاء، أَجابتني والابتسامه تعلو وجهها.**
* **هل هي حقيقه أَو خيال؟ وماسبب تسميتها بهذا الاسم؟**
* **سوف اقرأ لك عن قصة تسمية هذه اللوحة، أَو ما كتب حول هذه اللوحه يا أَخي الفضولي .**

**أَخرجت رزمة من الورق المستنسخ، مكبوسة من أَحد جوانبها، كتب عليها اسم المكتبة و عنوانها، واسم الأَستاذ الذي قام بأَعداد هذه الدراسة، التي هي من ضمن المنهج الدراسي، بدأت بقراءة ما كتب حول هذا اللوحة بصورة مختصرة جداً، وبدأَت القراءة بصوت مسموع :**

**العشاء الأخير طبقًا للعهد الجديد ، هو عشاء عيد الفصح اليهودي التقليدي، وكان آخر ما احتفل به يسوع مع تلاميذه قبل أن يتم اعتقاله، ومحاكمته، وصلبه في قصة لوحة الموجودة في** [**كنيسة سانتا ماريا ديلي غراسي**](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%83%D9%86%D9%8A%D8%B3%D8%A9_%D8%B3%D8%A7%D9%86%D8%AA%D8%A7_%D9%85%D8%A7%D8%B1%D9%8A%D8%A7_%D8%AF%D9%8A%D9%84%D9%8A_%D8%BA%D8%B1%D8%A7%D8%B3%D9%8A)**في ايطاليا ميلانو،أَشارت بسبابتها إِلى اللوحة، نلتمس أبرز اللوحات الفنية الشهيرة، التي تركت أثرًا في عالم الفن، وخلدها التأريخ ، تلك اللوحات التي تعكس فترة تأريخية بأسرها تعبر عن مكنوناتها، وتحولاتها، وذوقها العام، وخلفها حكاية يجهلها الكثيرون، أَشارت بيدها اتجاهي أَمثالك مبتسمة، ولوحة العشاء الأخير إحدى أشهر اللوحات العالمية للفنان دافنشي؛ حاول من خلالها أن يصور ببلاغة لحظة تاريخية تخص الديانة المسيحية حتى الصميم ، ولم تتمكن أي لوحة أخرى أن تثير قريحة المتذوقين كما فعلت تحفة دافنشي ، بناء على طلب دوق ميلانو رسم دافنشي اللوحة، وانتهى منها عام 1498 بعد ثمانية عشر عامًا ، حتى اليوم ظلت اللوحة محتفظة ببريقها على الرغم من تغير الأذواق، وقدم اللوحة، وتعرضها لعوامل الزمن، فإن مكانتها بوصفها تفردًا في عالم الفن، لم تكن محل شك ، تصور اللوحة بدقة متناهية السيد المسيح، وهو جالس على المائدة مع أثني عشر من حوارييه في غرفة طعام بدير سانتا ماريا ، الإعجاز في اللوحة يتضح في دقة دافنشي في تصوير انفعالات الأشخاص في اللوحة، وتصرفاتهم، ووفقًا للرواية المسيحية اجتمع يسوع بأتباعه في الليلة التي سبقت خيانتة، ليخبرهم بماذا سيحدث .**

**قاطعهم الأَب وهو متوجه إِلى باب المنزل، وهو يرتدي ثوبه الأَسود قائلاً:**

* **لاتخرج من المنزل، وإِذا احتجتم شيئاً فأَنا ذاهب لتقديم العزاء الى بيت أبو سلام وسأكون متواجداً عندهم.**

**أكملت رنا مابدات بقراءته، فاللوحة تجسد لحظة الصدمة التي أكد فيها المسيح لأتباعه أن أحدهم سيقوم بخيانته قبل شروق الشمس ، لتكشف بوضوح ردود الأفعال من حوله بين الرعب، والصدمة، والغضب، والارتباك ، في حين ظل المسيح هو الشخص الوحيد الذي يحافظ على هدوء ملامحه، وانفعاله في اللوحة ، تمكن دافنشي بحرفية بسبب دراسته التشريح أن يصور الانفعالات الدقيقة على وجوه الشخصيات في اللوحة، إِذ نجده  قد تعمد رسم وجه يهودا المتآمر في الظل خامس شخص من اليسار، كما نلاحظ بطرس يقف خلف يهودا صاحب لحية بيضاء، ووجه غاضب يتحدث إلى يوحنا المعمدان بملامحه الأنثوية ، ويقول النقاد إِن المنظور الفني الذي اتبعه دافنشي في هذه الوحة إعجازي بشكل ملفت، إِذ إِن أَهتمام الناظر يتجه مباشرة إلى وسط اللوحة حيث رأس السيد المسيح نفسه؛ الأمر الذي دفع النقاد إلى اعتبار اللوحة أعظم مثال تم ابتكاره عن منظور النقطة الواحدة ، في عام 1566 كانت مظاهر التلف قد لحقت باللوحة الأصلية في ميلانو أكثر وضوحا ، ودق جرس الإنذار حول احتمالية موت التحفة الفنية عام 1901، غير أنها لم تمت؛ فقد خضعت للكثير من عمليات التجديد والترميم منذ إنجازها في القرن الخامس عشر، وآخر عملية ترميم استغرقت 20 عامًا. للوحة طبعات، ونسخ كثيرة تزين البيوت، والمتاحف، ودور العبادة في العالم ، ونجت اللوحة الأصلية بأعجوبة من قصف الحلفاء لروما عام 1943، أثارت هذه اللوحة كثيراً من التساؤلات عن شخصية دافينشي؛ إذِ تحتوي العديد من العناصر التي لا تنتمي إلى المسيحية التقليدية التي رسمت اللوحة أساسا للتعبير عنها ، وذهب البعض يرى أن اللوحة احتوت على إشارات خاصة بعقيدة سرية، مخالفة للعقيدة المسيحية الكاثوليكية السائدة في ذلك العصر، كما أثيرت الأسئلة حول شخصية يوحنا المعمدان حيث رآه البعض على أنه مريم المجدلية؛ نظرًا لمظهره الأنثوي ، وتعكس أدوات المائدة التي رسمها دافنشي، والتي تتضمن زجاجات نبيذ، وقوارير ملح، وأنواعاً معينة من الطعام التقاليد والثقافة الايطالية  فقد كان من الشائع أن ترسم هذه القصة على جدران الأديرة ، وكل من رسموا الموضوع قبل دافنشي اهتموا بتصوير اللحظة التي حرك فيها المسيح الخبز والنبيذ باتجاه يهوذا كدليل على خيانته ، بيد أن دافنشي ركز على المائدة والطعام بدقة، ليعيد تركيب اللوحة بما يتناسب مع ذوق عصر النهضة، وذوقه الخاص؛ في محاولة منه للخروج عن المألوف، والاقتراب من الواقع لتصبح تحفته “العشاء الأخير” من أعظم اللوحات الفنية في العالم على الإطلاق ، وجاءت فكرة هذه اللوحة على بال المئات من الفنانين الآخرين قبل دافينشي؛ إِذ أنهم رسموا جميع الحاضرين وحولهم هالات مضيئة ، ما عدا يهوذا الإسخريوطي في إشارة منهم إلى كونهم من القديسين ، سكتت أَختي هنا ونظرت إِليَّ، وهي مبتسمة، وقالت:**

* **هل مللت يا أَخي؟ أَكمل أَو هذا القدر يكفيك عن قصة هذه الرسمة؟**
* **اكملي، اكملي، أَنا الآن اتخيل كل ما موجود داخل الرسمة كأَنه فلم يمر أَمام عيني، اكملي .**

**قالت أَختي مبتسمة:**

* **حسناً، حسناً.**

**و وفقا للعالم الإيطالي ماريو تاديو، الذي شارك في دراسة أعمال دافينشي، فإن دافينشي رفض استخدام الهالات في لوحته ليصور يسوع، وتلاميذه على أنهم أناس عاديون، وأَن يسوع كان إنسان فانياً ككل البشر، ذلك أنه توجب على دافنشي اتباع قواعد معينة؛ بناء على دراسات سابقة حول هذا الموضوع قبل البدء برسم هذه اللوحة و أن يوحنا الحبيب هو يوحنا بن زبدي وسالومى كان أصغر تلاميذ المسيح، وفي أغلب الأعمال الفنية تم رسمه بأَسلوب يظهره أشبه بفتاة منه بشاب نظرا لصغر سنه؛ ولذلك لم يقم دافينشي بخرق هذه القاعدة ، ومن أعمال الفنان الايطالي ليوناردودافنشي الفنية هي لوحه عذراء الصخور بنسختين، و لوحة العشاء الأَخير و الجوكاندا، أَو الموناليزا، و لوحة الرجل الفيتروفي، و لوحة البشارة، و لوحة القديس يوحنا المعمدان، و لوحة العذراء، والطفل مع القديسة آن، و لوحة سيدة مع قاقم، و معمودية المسيح، و عشق المجوس، و سالفاتور مندي، و السيدة بينويس، و العذراء تغزل النسيج، و رأس امرأة، و ليدا و الأوز والكثير من اللوحات التي تعود إِلى هذا الفنان ، هذا كل ما كتب في هذه الاوراق لدي، ولاكن جميع لوحات الفنان الايطالي دافنشي موجودة في المتاحف العالمية وهنالك لوحات لم يتم العثور عليها بعد، ختمت كلامها، وهي تقول :**

* **هيا، دعني اكمل الرسم .**

**جسلت على مقربة منها، وأَنا أَطالع اللوحة، وأَتصفح بعضاً من الكتب؛ إِذ جذب انتباهي كتاب متوسط الحجم، مكتوب على الغلاف الخارجي رواية الفقراء، قلت لها:**

* **هل يمكنني أَن أَقرأَ هذه الرواية؟**
* **نعم، ولكن أَوصيك الحفاظ عليها في أَثناء تصفحك، إِنها أَغلى هدية أَهداها أَبي لي عند تخرجي من الأَعدادية .**
* **وهل أَنا طفل! لكي توصيني في الحفاظ عليها ؟**
* **هيا اقرأَها بعيدا عني؛ إِنك تشتت انتباهي .**

**بدأَت بتصفح أَوراق هذه الرواية، ثم قرأت آخر ورقة من الرواية؛ إِذ كتب عليها ، رواية الفقراء هي الرواية الأولى لدستوفسكي، وأفصحت عن موهبة ناضجة، فاستقبلت من قبل الأوساط الاديبة الروسية بترحاب كبير، وأَثنى عليها الناقد الروسي الكبير بيلنسكي، وخاطبه قائلا: يجب أَن تعتز بموهبتك، وتخلص لها، ولسوف تصبح كاتبا كبيرا وبعد أَن قرأَت هذه الأَسطر جلست متكأً على وسادة، وبدأَت بالقراءة من الصفحات الأَولى ، أَوشك الوقت على غروب الشمس، و البيت أَصبح مظلماً توقفت عن القراءة؛ بسبب انقطاع التيار الكهربائي الذي انقطع منذ عدة أيام، وكان البديل في مثل هذه الظروف هو (الشمعة، أَو الفانوس، أَو الالة) ومضى على انقطاع الكهرباء سبعة أيام، عاد أبي من العزاء، وكان مهموماً ومتعباً في ظل هذه الظروف الصعبة ، اشعلت الفانوس، و وضعته في مكانه المعتاد على طرف نافذه صغيره (رازونه) كانت موجودة في وسط الجدارالذي يفصل بين الغرفتين، وإِذا بصوت أَبي، وهو يقول:**

* **هندرين، تعال يا حبيبي.**
* **نعم، يا أَبي.**
* **هل تذهب معي غدا إِلى بيت عمك ؟**
* **أَجل سوف أَذهب معك ، يا أَبي لدي سؤال؟**
* **اسأل سأجيب إِن شاء الله**
* **ما معنى (هندرين)؟**
* **اممممم هندرين هو جبل يقع في شمال شرق** [**العراق**](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%B1%D8%A7%D9%82)**، ويطل على مدينة** [**راوندوز**](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%B1%D8%A7%D9%88%D9%86%D8%AF%D9%88%D8%B2)**، وقريب من مدينة** [**السليمانية**](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A7%D9%84%D8%B3%D9%84%D9%8A%D9%85%D8%A7%D9%86%D9%8A%D8%A9) **شمال العراق ، ولدي قصة مع هذا الجبل الجميل .**
* **وماهي القصه يا أَبي، التي جعلتك تنادني هندرين، بدلاً من اسمي ؟**
* **القصه هي يا حبيبي:**

**في أَحد أَيام الخدمة العسكرية وفي أَثناء الحرب العراقية الأَيرانية التي استمرت ثماني سنوات ، كنا مرابطين على الشريط الحدودي بين العراق وإِيران ، تم تكليفي أَنا والمرحوم ابو سلام لجلب الماء إِلى بقية الجنود، إِذ كانت هذه الممارسة تقع على اثنين كل يوم عند نفاذ الماء ، في ذلك اليوم كان دورنا في ايصال الماء الى القطعات، ذهبنا الى مصدر الماء، ومعنا خزانات خاصة لتخزين الماء، وكان بحوزتنا اثنان من ( البغال ) أَخذنا معنا ما نحتاجه من طعام وشراب ، كانت المسافة بين مصدر الماء، ومكان تواجدنا مسافة من خمس إِلى ست ساعات سير على الاقدام، استمرينا في السير دون توقف، قمنا بملأ الخزانات بالماء وقمنا بالاستحمام، ثم عدنا أَدراجنا ، وفي أَثناء عودتنا وعلى بعد مسافة ليست بالقليلة شاهدنا نيراناً تتصاعد من اتجاه مكان تواجد القطعات؛ دققنا النظر، شاهدنا الدمار قد حل على المكان، ولا يوجد أَثر لزملائنا، واقتربنا بحذر شديد ، فقد تبين لنا أَن القطعات تعرضت إِلى القصف ، ماذا نفعل الآن يا ماجد، قالها صديقي المرحوم ابو سلام، أَجبته قائلاً: علينا الذهاب إِلى راوندوز، التي تبعد مسافة عشر ساعات سيراً على الاقدام ، ماذا تقول هل جننت ؟ نعم يا رعد علينا الذهاب الآن ، قلتها، والتعب أَخذ مأخذه من أَجسادنا ، ركبنا البغال، وسارت، وتركنا خلفنا خزانات المياه، أَخذنا ما نحتاجه في الطريق، وفي أَثناء السير مررنا بإِحدى القرى، و صادفنا أَحد القروين، وهو راعي أغنام كان يرتدي الزي الخاص بسكان تلك القرية، التي تتكون من غطاء الرأس والقميص، الذي يكون تحت جاكيت قصير الليلك، و الصديرية، والسروال، وحزام من القماش يلف حول الخصر، قدم المساعدة والمؤونة، أَعطانا لبناً وخبزاً وقام بإِرشادنا إِلى الطريق حيث شاهد قطعات عسكرية، وهي تسلك طريقها تجاه جبل هندرين ، وصلنا إِلى جبل هندرين،رأينا أَفراد كتيبتنا قد أَخذت من الجبل معسكراً لهم، وكانت الفرحة لاتوصف وهم لايصدقون كيف استطعنا قطع هذه المسافة ، تقدم لنا أَمر الفرقة، وهو يقول: انسحابنا هو انسحاب تكتيكي؛ بسبب القصف الكثيف، سوف نلتحق غداً إِلى المكان نفسه ، قال رعد: سيدي المكان السابق دمر بالكامل؛ بسبب القصف الذي تعرض له، وعلى هذا الأَساس لم نغادر جبل هندرين، وأَصبح معسكراً أَساسياً ، هذه هي قصه تسميتك بـ هندرين.**

* **ماهذا الكتاب الذي بحوزتك ؟ قالها : و أَشار إِلى رواية الفقراء.**
* **إِنها رواية استعرتها من رنا.**
* **عند ما تكملها سوف أعطيك رواية أَخرى، اتفقنا يا هندرين؟**
* **نعم يا أَبي، اتفقنا .**

**(3)**

**نادت أَمي وهي تضع أواني الطعام: هيا، لقد جهز العشاء ، وضعت الرواية جانباً، و جلسنا حول المائدة أَنا، و أَفراد عائلتي، التي افترشت ارض الغرفة، وتحت ضوء الفانوس أكملنا ما تم إِعداده، وكان عشائاً لذيذاً مثل كل مرة رغم بساطته ، وبعد ذلك توجهت إِلى سريري بدأت بالقراءة بعد مرور فترة من الزمن لم انتبه للساعه حينها شعرت بالنعاس، وضعت الأشارة في صفحة تسعة وأربعون، وأَنا أَطوي زاوية الورقة و وضعت الرواية جانباً ، كنت غارقاً بأفكاري ، هنالك سؤال دار في ذهني، هو كيف استطاع هذا الكاتب أَن تكون روايته خالدة منذ عام 1846 إِلى يومنا هذا، وماهو سر هذا النجاح؟ في أَثناء ذلك فتحت الكتاب، وبدأت أقرأ من جديد بصوت أكاد أَنا أَسمعه وحدي، صوت خفيف لكي لا أَزعج أَي أَحد قريب مني، أَو لربما أحببت أَن انفرد بهذا الكتاب الجميل وحدي ، قرأت في نفس الصفحة، وفي أَثناء قراءتي، وأَنا غارق في التفكر اتجهت بانظاري إِلى سقف الغرفة وفجأة ظهرت في سقف الغرفة بوابة أَشبه بالدوامة، وكانت هذه الدوامة تلتهم الأشياء إلى جوفها، نظرت إلى أَفراد أسرتي لم يكن أَحد بجواري بدأت هذه الدوامة بالأقتراب مني صرخت، ولكن صرخاتي لم تتجاوز حنجرتي، كان شيء ما يقيدني، لم أَتمكن من التحرك، أَرتفع السرير الذي كان تحتي أَصبح اشبه بزورق عائم، ولم استطع التحكم في قيادته، اتجه نحو هذه الدوامة التي ظهرت في سقف الغرفة ، شيئاً فشيئاً اقتربت من الدوامة التي أَصبحت جزء منها التهمتني هذه الدوامة، وأَخذتني في جوفها كنت أُحاول الصراخ لطلب النجدة، ولكن صوتي لم يخرج ظل حبيس صدري ، رمتني هذه الدوامة في أَحد الشوارع ، ثم أَخذني رجل يرتدي معطفاً وعلى رأسه قبعة صنعت من الصوف ، دخلنا إِلى أَحدى مستشفيات هذه مدينة ، اختفى ذلك الرجل صاحب المعطف لا أَعلم إِلى أَين ، حينها كنت واقفاً أَمام إِحدى ردهات هذه المشفى ، صوت صراخ امرأة يملأ المكان ، توقف وهي تضع مولودها، استقبلت الطبيبة المشرفة على عملية الولادة الطفل الوليد، ثم يربت على ظهره، و مقعده بضربات خفيفة بكف اليد، فيصرخ الطفل بصوت عال، وكأنه يعلن للوجود والعالم كله: ها أَنا قد جئت أَيها العالم ، دونت إِحدى الممرضات، التي كانت واقفة إِلى جانب السرير، وكانت تحمل سجلاً وفي اليد اليمن قلم، كتبت على ورقة أشبه بشهادة الميلاد اسم المولد (فيودور ميخايلوفيتش دوستويفسكي)، وقامت بكتابه تأريخ الميلاد وهو (11 نوفمبر/ تشرين الثاني عام 1821) ثم كبر هذا الطفل وهو يقرأ القصص الخيالية، والأساطير، توفّيت والدته حين كان عُمره 15 سنة، وفي الوقت نفسه ترك المدرسة، والتَحق بمعهد الهندسة العسكرية ، وبعد تَخرّجه عَمِل مُهندساً، واستمتع بأسلوب حياةٍ باذِخ ، وكان يُترجم كُتباً في ذلك الوقت أيضاً ليكون دخلاً إضافياً له ، وكان دوستويفسكي في ضائقة مالية؛ بسبب حياة البذخ التي عاشها، وبسبب** [**إدمانه على القمار**](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A5%D8%AF%D9%85%D8%A7%D9%86_%D8%A7%D9%84%D9%82%D9%85%D8%A7%D8%B1) **، ورغم أنه كان قد ترجم عدة روايات أجنبية ، فلم تحقق له نجاحا يذكر، وقرر أن يكتب رواية بنفسه، في محاولة منه لجمع المال ، كَتب روايته الأولى، وهي الفقراء التي أدخلته في الأوساط الأدبية في** [**سانت بطرسبرغ**](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%B3%D8%A7%D9%86%D8%AA_%D8%A8%D8%B7%D8%B1%D8%B3%D8%A8%D8%B1%D8%BA) **حيث كان يعيش ، انضم إلى لرابطة بيتراشيفسكي، وهي مجموعةٌ أدبية سريّة، تُناقِش الكتب الممنوعة، التي تنتقد النظام الحاكِم في روسيا ، وقد أُلقيَ القبض عليه بتهمة الانضمام إلى هذه الرابطة، وحُكِم عليه بالإعدام، ولكن تم تخفيف الحُكم في اللحظات الأخيرة من تنفيذه ، فقضى أربع سنوات في الأعمال الشاقّة، تلاها ستة سنوات من الخدمة العسكرية القسرية في المنفى ، كانت تعرض لي هذه التفاصيل بصوره سينامائية ، ظهر صاحب المعطف من جديد ، وضع يده الباردة على خدي، محاولاً أن يكلمني، وبدأ بضربات خفيفة، وهو ينادني باسمي ، أحاول أَن أَركز في ملامح هذا الرجل، و لكن لم استطيع ، فتحت عيني بكل قوه، وإذا بوجه أبي أمامي، وهو يقول:**

* **انهض سوف اذهب، وأتركك، هيا.**

**هذا حلم كانت يد أبي تقطر ماء؛ انتهى توا من وجبة الفطور، نهضت من سريري، نظرت إلى سقف الغرفة لم يتغير منه شيء، اتجهت نحو الحمام أَلقيت تحية على أمي وإِخوتي كانوا جالسين على مقربة من سريري، غسلت وجهي، وجلست، وأَنا أَفكر بهذا الكتاب ، ذهبت نظراتي إِلى رواية الفقراء و راودتني فكرة القراءة، أَخذتها بين أَحضاني، صوت أَمي كان حنوناً وهي تقول :**

* **ضع الكتاب جانباً، وأكمل طعامك قبل أَن يبرد، وأَبوك ينتظرك .**

**كانت الساعة تشير إلى التاسعة صباحاً ، لبست أحسن الثياب لدي، وخرجت مع أبي وهو يسمعني كلمات المديح والتباهي ، اتجهنا صوب الشارع الرئيسي كانت سيارات المارة قليله جداً، انتظرنا واقفين حتى جاءت سيارة نوع ( كيا )، لوَّح أَبي بيده ، فتوقفت السيارة، وركبنا أَنا وأَبي ، السائق بدا منزعجاً وهو يتكلم على أَسباب ارتفاع تسعيرة الأجرة، و المعانات في الحصول على وقود لسيارته ، لم أَكترث لحديثهم الذي ارتفعت وتيرته ، انا انظر من النافذه الى حجم الدمار الذي تعرضت له مدينتي متسائلاً في داخلي من هوالمسول عن هذا الدمار ياترى ؟! هل هي الجبهة التي تحدث عنها أبي، لاليست هي جبهة، إنما أَصبحت مسرحاً لعرض السلاح والقتال، كنت أَتحدث في داخلي، وأَنا أَرسم خارطة للطريق الذي سلكته السيارة ، هيا، يا هندرين، انزل؛ لقد وصلنا، قالها أَبي ، وضعت قدمي على الرصيف، رفعت رأسي انظر إلى ذلك الخزان الكبير الأبيض، ثم نظرت إلى الجهة المقابلة لهذا الخزان، سقطت انظاري من دون قصد على تلك الكنيسة البيضاء، وهي تزين ذلك المكان عند وصولنا إلى ساحة الطيران أَخذت أَتلفت باحثاً عن تماثيل العقداء الأربعة، ويونس السبعاوي، ورشيد الكيلاني، الم تكن في هذا المكان ، سألت أَبي أَين تلك التماثيل التي كانت واقفة هنا، وأشرت أَلى مكان وقوفهن، أجابني قائلاً:**

* **تم سرقتهن .**
* **وما اسم هذا المكان يا ابي ؟**
* **هذه ساحه الطيران .**

**ذهبنا تجاه ساحة التحرير كانت الشوارع فارغة، والخراب يسود المكان، ولم يسلم من السراق اي شيء حتى محلات المشروبات الكحولية تعرضت للسرقه والتخريب ، الشارع مملوء بالأوراق المتطايرة ، نظرت إلى عيون أَبي، و الدموع تَرَقْرَقت في عينيه، و نزلت عندما أَغلق جفنه نزلت دموعه، سألته عن سبب البكاء؟ أَجابني، أدمع العين هذا الغبار أَنزله ، مسح دموعه، ونزلت دموعي، وأَنا أَول مرة أَكون شاهداً على دموع أَبي سرنا في شارع الرشيد، وذهبنا تجاه جسر السنك، و آثار الحرب بدأت واضحة المعالم كانت هنالك سيارات، و مركبات عسكرية، قد تعرضت للقصف، ولم يتبقا منها شيء سوى الحطام ، المباني الحكوميه تعرضت للنهب، والسلب، والحرق ، في تلك الأيام العصيبه فتحت الحدود على مصراعيها؛ مما أَتيح لأعداء الأنسانية أَن يتغلغلوا داخل الأراضي العراقية ونهب ممتلكات وخيرات هذا البلد العريق، و تشكلت مافيات وعصابات عديدة، منهم تجار البشر، وتجار المخدرات، و تهريب الآثار والزئبق والذهب، بمساعدة بعض من أَصحاب النفوس الضعيفة الذين باعوا وطنهم من أَجل حفنة من الدولارات ، وفي أَثناء وصولنا إلى جسر السنك، وفي بداية الجسر كنت أنظر الى نهر دجلة، الذي لم يخفِ جماله، ولم يستطيع السراق سرقته، ومازال يعزف لحن الحب و الجمال بين ضفتيه ، طلبت من أَبي الوقوف، لكي أَشاهد مجرى النهر، توقف أبي، وهو يسحب نفساً عميقاً بعمق الحسرات التي أَخرجها من أَعماق صدره ، كانت أرض الجسر مملوءة با الضرف الفارغة التي تم أطلاق رصاصاتها في وقت سابق ، حملت في يدي عدد منها، ثم اقتربت من سياج أَلجسر، وبدأت برميهن من يدي واحدة واحدة، ثم قمت برميهن جميعهن في النهر ، همس صوت في أَذني لم يكن صوت أَبي هذا أَبي واقف ينظر الى شيء لم استطع تحديده ولاكن تأكدت بعد ان ناديته ولم يرد إنه ينظر إلى ما لانهاية، لم يكن أَحد بجوارنا، عاد الصوت من جديد إنه صوت حبيبتي أَلتي لم أسمع صوتها من قبل وهي لم تكن واقفه معنا ولاكن عند ما لا افكر فيها لعده أيام يبدأ صوتها بالدخول إلى مسامعي، ولا يسمعه أحد غيري، هكذا هو صوت حبيبتي، التي لم تَبُح بأسرارها، وكنت أَبوح بأسراري، التي لم تسمع صوتي، وأَنا أَسمع صوتها متى أَرى شفتيها، وهي تكلمني، وهل هي تحبني ؟**

* **نعم، أحبك .**

**قلت لها:**

* **ماذا تقولين ؟**

**صوت حبيبتي :**

* **خذ نفساً عميقاً، وأَغمض عينيك.**

**اغمضت عيني، وكررت ما سمعته منها، ولكن لم تقل لي من هي، ومن تكن، ولم تَبُح لي بأسمها استمريت بسماع صوتها وهي تتحدث بصوت كصوت هدير أَمواج دجلة، صوت أبي هندرين، لماذا تغمظ عينيك، وانت طلبت مني الوقوف لكي تنظر إلى نهر دجلة قالها، واختفى صوت حبيبتي ، فتحت عيني نظرت إلى أَبي وابتسمت، ابتسم لي، وقال:**

* **هيا نذهب .**

**سار وسرت خلفة أَتبع خطواته في حين قد اختفى الصوت من جديد، ياترى هل يعود إذا ناديته صرخت في داخلي: هل تسمعينني؟ التفت أبي، وقال :**

* **لماذا تتكلم مع نفسك ؟**

**استمر في المسير، ولم ينتظر مني جواباً أَنصت اليه، سمعته يتكلم مع نفسه، ياترى هل هنالك صوت في داخله؟ توقف أَبي في وسط أَلجسر حين ما لحظ عمي صفوان، وهو يتجه صوبنا، لم ينتبه عمي إلى أَبي على الرغم من أَنه كان ينظر بتجاهنا، استمر أَبي بالمسير، وقال:**

* **هذا عمك .**

**اقترب العم ولم ينتبه لوجودنا على الرغم من قرب المسافة التي كانت بيننا، اجتازنا دون أن يكترث لوقوف أَبي كان الصوت الذي في داخله أَعلى من كل الأصوات التي حوله ، الصوره التي في رأسه حجبت عنه الرؤية، صاح أَبي بصوت مرتفع استطاع به أَن يجعل عمي يلتفت، ويفتح عينه مندهشاً، ويرفع يديه، ويضعها على رأسه، واتجه نحو أَبي عانقه، و أَلقى بجسده على أَبي حتى أَصبحت أَنظر إلى شخص واحد اعتذر عن عدم وقوفه في البدايه، وهو يقول:**

**(والله ماشفتكم أبالي حسبه وبالي يمكم وآني أريد أجيكم) .**

**عانقني، ورحب بي، وبدأ بالحديث الذي كان يدور في أَعماقه، وأَنساه كل ماحوله، أَطلق العنان لنبرات صوته، الذي كان الاشتياق والمعاناه ظاهرين عليه ، عمي صفوان صحفي و كاتب، ولكن لم يمارس مهنته بسبب التوجهات، التي كانت تفرض على من يمارس هذه المهنة ، استطاع أَن يفتح مكتبه لبيع الكتب والمستلزمات الدراسية في الباب المعظم ، تزوج من حبيبته رحيق بعد معاناة استمرت خمس سنوات؛ بسبب الفارق الطبقي بينهما، وكانت بدايتها عند ما دخلت رحيق، وهي في المرحلة الأولى في دراستها الجامعية، كانت طالبة في كلية الهندسة جامعة بغداد، أَرادت أَن تقتني كتاباً من المكتبة، التي كانت لعمي صفوان، نظر عمي إلى رحيق، وهي النظرة الأولى، ويقال إن الرجل يعشق بعينيه، والمرأة تعشق بأذنيها أَما الرجل الذي يعشق روح المرأة ، فتكفيه واحدة، أما الرجل الذي يعشق وجه المرأة، فلا تكفيه نساء العالم!، أما العم صفوان عشق بروحه، عشق روح رحيق منذ اليوم الأول ، بدأت بالسؤال عن عنوان كتاب خاص بموضوع الهندسة المعمارية، والخجل واضح على ملامح وجهها، ابتسم العم صفوان, وسبب ابتسامته هو لفظها لعنوان الكتاب بتلكئ وتكرار أحد الحروف بصورة مفرطة، هذا الموقف كان عمي دائماً يذكره، ويبتسمان معاً ، دائماً يتكلمان بالمواقف التي حصلت بينهما، وكيف كانا يتقاسمان لحظات الفرح و المعاناة بينهما كل ما اتحيحت لهما الفرصه بالحديث عنها حتى اصبحت معروفة لدى المقربين؛ حتى توج هذا الحب بالزواج ، بعد أَن اكملت رحيق دراستها الجامعية، كانت خلال فترة الدراسة على تواصل مع عمي صفوان، وفي اليوم الأخير أبلغته أَنها سوف تكون جليسة البيت، وانتظار فرصه للعمل، وما كان من العم إلا أن يعدها بأن يتقدم لخطبتها في أقرب وقت، في أَحد الايام ذهب مع جدتي لطلب يد رحيق، والاتفاق على الأمور الأخرى، وهنا بدأت المعاناه عند ما سمع الجواب ليست لدينا بنت للزواج! بعدها وبعد أَيام ذهب مع عدد من الوجهاء والشخصيات أَيضاً فسمعوا الأجابة نفسها ليست لدينا بنت للزواج !! واستمرت محاولات عمي كل فترة يقوم بالذهاب إلى بيتهم لطلب يد رحيق، وكانت كل محاولاته تبوء بالفشل ، ذات يوم دخل والد رحيق إلى المكتبة حين ماكان العم صفوان يرتب أَحد الرفوف، وكان بحالة غير طبيعية، قال لعمي:**

* **غداً تعال أَنت و احد أَفراد عائلتك لطلب يد بنتي رحيق.**

**وخرج ، لم يصدق عمي ماسمع، فذهب إلى الهاتف الأرضي، وضغط على مفاتيح الهاتف، وضع السماعة على أذنه، سمع صوت والدة رحيق وهي تبكي ، استفسرعن سبب البكاء أجابت حاولت رحيق الانتحار بوضع آلة حادة على أَحد معصميها، ومررت الالَة على معصمها فقطعت شرايين يدها أَمام انظار الأب والأم، وهي الآن في مستشفى الكرخ ، ولكن تردد العم صفوان بالذهاب إلى المشفى انطلق بعد تفكير للحظات ، زارها إلى المشفى، وخرج بعد الاطمئنان على حالتها الصحية، وفي اليوم الثاني زارها مع جدتي، و أَهدى لها خاتم الخطوبة ، تشاركا في كل شيء، وتقاسما المعاناة بعد الزواج؛ بسبب القطيعة التي حدثت بينهما وبين اهلهما التي استمرت إلى سنه بين العم صفوان وجدي، أَما عائلة رحيق، فاستمرت القطيعة بنها وبين أهلها إلى عشر سنوات، و عادة المياه الى مجراها الطبيعي بعد أَن تعرض والد رحيق إلى وعكة صحية في خلال تلك الفترة وقفت رحيق إلى جانبه هي والعم صفوان ، وبعد ان تحسنت صحته اعتذر لهما و أحب العم صفوان وعده أحد أولاده بعد أن تعرف عليه، وتقرب منه .**

**خلال وقوفهم دار الحديث، وسأل العم صفوان أبي قائلاً:**

* **كيف حال الأقارب ولأصدقاء ؟**
* **كلهم بخير، ولكن يؤسفني أن اقول لك لقد توفي أبو سلام صديقي .**
* **ماذا تقول، وهل يعاني من شيء ؟**
* **كلا، لايعاني من شيء كان يتمتع بصحة جيدة، ولكن .**

**حل الصمت على أبي دون أن يخبره عن سبب وفاة صديقه أبو سلام كان الهدوء يهيمن على أبي وهو ينظر إلى عمي ، الهدوء لا يعني عدم القدرة على الحديث، أو ضعف في الشخصية ، بل بالعكس فهو يدل على القوة، والوعي، والمقدرة على التحدث في الوقت المناسب، وهل هو الوقت المناسب، لكي يطلعه على الخبر، لم تمضي دقيقه على هذا الهدوء حتى عاود العم بسؤال:**

* **كيف مات؟ وانت تقول كان بصحة جيده!!**

**قالها بترقب، وقلق، وحزن .**

* **لقد قتلوه الذين لادين لهم .**

**تحولت ملامح عمي الى حزن، وأسف على هذا الخبر، توجهنا نحو بيت عمي في شقق الصالحية، دخلنا، كانت الشقة، فارغة، جلسنا، واستمر أبي و العم بالحديث حول الوضع الحالي ، أما أَنا، فبدأت بالابتعاد عنهما ولكن جسدي جالس أمامهما، ركنت جذعي جانبا وخلفي أحد الأركان لأسترق النظر، وأشبع من أجمل حلم رأَيته، وأستعيد في ذاكرتي ملامح تلك الأنسانة التي هزت مشاعري، واستفزت عواطفي، وحفرت صورتها الجميلة خلف اضلاعي، ورسمت عينيها في لبيب قلبي ، ولكن كيف لي الوصول لها؟ سوف أكلمها هذه المرة، سوف أتشبث مثل ماتشبث العم صفوان برحيق، ولكن كلما نسيتها يداهمني هذا الصوت، وهل هو صوت حبيبتي الازلية؟ وهل هي التي أحببتها في طفولتي؟ ولكن هذا ليس صوتها، صوتها كان طفولياً والبراءة نفس البراءة، ولكن هاهي تغازلني على الرغم من هذه الاجواء المشحونه المليئة بالمفاجئات، سوف أجدها رغماً عن كل هذه المصاعب ، هندرين صوت أبي أيقظني من هذه القيلولة التي داهمتني فجأة ، وهو يقول:**

* **هيا نذهب إلى البيت**

**ودعنا العم صفوان و قبل أن نخرج، قال العم صفوان:**

* **بعد يومين أسافر مادامت الحدود مفتوحة سوف أذهب إلى الأردن .**
* **أين ما ستذهب فسيكون ذلك أفضل من بقائك هنا .**

**(4)**

**خرجنا مودعين العم صفوان، ولكن أَنا لم أَعرف ماهو سبب سفر عمي إلى الأَردن بسبب أحلامي، وذلك الصوت ، الذي مازل يصدح في داخل رأسي، ونسيت نفسي وأنا أَضع يدي في يد أَبي حيث كان الحديث شيقاً مع صوت حبيبتي، هكذ اسميته صوت حبيبتي، لم يكن مزعجاً، ولكن أعاني من شيء، هو عند ما أتحدث مع صوت حبيبتي يقاطعني كل من كان قريباً مني، حين ما أتحدث مع صوت حبيبتي يقولون لي: لماذا تتكلم مع نفسك، وهم لايسمعون صوت حبيبتي، هذا ما يجعلني أنفصل تماماً عن هذا العالم، الذي يأحذني إلى عالم اخر، وأنا سيد هذا العالم ، لم أبحُ لأحد عن هذا الصوت، خوفاً من أن يقولوا لي: أنت مجنون، وعن أي صوت تتحدث ، أخذتني ذاكرتي إلى ذالك اليوم، كنت حينها في الصف الأول أذكر جيداً حين استيقظت على بقايا حلم لذيذ، كان المطر ينث قطراتة الصيفية على رصيف شارعنا الترابي المبلل وأنا اشم رائحته عند ذهابي إلى المدرسة، حين ما رفعت يدي، وأنا أَرغب في المشاركة في الدرس لمنافسة أَقراني في المقدمة، وكان ذلك الصبي المدلل يزعجني ( ابن المعلمة )، وهو يتقمص دور البطل، ودور المجتهد، والمثابر كنت أبتعد عنهُ لسبب واحد أنه يضرب كل من حوله، ولا يتجرأ أحد على الرد، ومن يتجرأ على ضربه، سوف يكون حسابه شديداً رفعت يدي حين ما اخطأ في حل مسألة رياضية أمام انظار أمه الست سميرة التي كانت واقفة بجوار زميلتها الست غيدة، وهي معلمة الرياضيات، أشارت إلي بسخرية وأَستهزاء، وهي تسمعني شيئاً لاأحب سماعه، ولا أحب أن أذكره حتى وصل بي الحال إلى التعرق مصحوب بارتعاش خفيف، أَحسست به عند ما دنوت بقرب السبورة صرخت، وكانت صرختها بمنزلة صعقة كهربائية، أخذت الطباشير للبدء بحل المسألة الحسابية، وعند انتهائي من الجواب الصحيح، قالت لي:**

* **ارجع.**

**خاطبت الست غيدة صديقتها، والقهقه ملأت اركان، و أرجاء الصف، سمعتها عند ما قلت:**

**(هذا الفاشل جاوب و أبن المعلمه عشتو ما جاوب ) .**

**نعتتني بالفاشل على الرغم من أن جوابي كان صحيحاً، هذا المشهد وتفاصيله وكل كلمة ظلت عالقة في ذاكرتي ، لم أَشعر في بعد المسافه التي قطعناها في المسير أَنا وأَبي من بيت العم صفوان إلى بيتنا، إذ كنت سارحاً في عالمي، دخلنا البيت، شعرت في ذلك حين ما قالت لي أمي:**

* **انهض، وغير ثيابك .**

**حينها سمعت أَبي، وهو يسوغ لأمي سبب تأخرنا بالوصول إلى البيت عن عدم وجود سيارات، عدنا إلى البيت سيراً على الأقدام ، ولكن كيف لم اشعر بالطريق كل هذه المسافة، ولم اتذكر أي شيء من طريق عودتنا، نظرت إلى أبي كان جالساً على أَريكة خشبية، التي كانت موجودة في أحد جوانب الغرفة، وضعت أمي أَقدام أبي في طَشْتً من النُّحاس، وبدأت تسكب الماء الفاتر عليهما، وضعت كمية من ملح الطعام، ثم قامت بتنشيفها بالمنشفة التي كانت تضعها على كتفها الأيمن، وضع أبي قبلة على جبين أمي بعد انتهائها من غسل قدميه، ثم وضع أسفل رأسه وسادة، و أغمض عينيه ، الظلام بدأ يسري في زوايا المنزل، أعدت أمي العشاء، جلسنا على الأرض حول الطعام الذي أعدته أَمي بمساعدة أَختي رنا، نهض أبي، وجلس أمامي، قال بصوت واضح: (بسم الله)، انتهيت من العشاء جلست بالقرب من الفانوس، و أخرجت الرواية وبدأت بقراءتها ، سمعت طرقات خفيفة نهضت، فتحت الباب، وإذا بخالتي التي دخلت، وهي ترتدي ذلك الثوب الأسود الذي أصبح شيئاً اساسياً في حياتها اليومية ، لم أشاهدها ترتدي غير الثوب الأسود حتى في الأفراح؛ والسبب هو فقدان زوجها الشهيد بندر زوج خالتي هو رجل بطهر الندى، ورقة النسيم، وعبير البنفسج ، كما كانت تصفه خالتي، ودموعها تكون حاضرة عند ما تتحدث عنه، تقول خالتي: إنه من مواليد مدينة البصرة ، نشأ في ظلال أسرة ثرية ، ثم انتقل إلى بغداد لغرض إكمال دراسته، دخل إلى الجامعة المستنصرية/ كلية الآداب، التحق بالعمل الجهادي في زمن عز فيه الرجال , وكانت خالتي واقفة إلى جانبه، أحبها، وأحبته، وجمع بين قلبيهما الحب الطاهر في ظلال من لإ يؤمنون بالمودة، وحين أراد أن يتقدم لخطبتها، قال لها: إنه ينتمي الى المعارضة، ولم يخفِي عنها شيئاً كان حينها طالباً في المرحلة الرابعة كان دائماً يشارك في القيام بعمل ثوري لزعزعة نظام الطاغية نمرود العراق في القرن العشرين، وافقت خالتي، وتزوجها، وبعد مرور أربعة أشهر على زواجهما، اعتقل بندر مع جميع أفراد خليته الجهادية، واعترف بندر بكل شجاعة أدهش الجلادين؛ إذ لم يكن هناك من مجال للإنكار ، وسيق إلى المحكمة ليصدر بحقه حكم الإعدام شنقاً حتى الموت ، أمضى فترة توقيفه في العبادة، ونظم الأشعار العرفانية، التي تتغنى بالعشق الإلهي ولقاء المحبوب ، وطالما أحيى الليل المبهم، يتأمل النجوم في أغواره السحيقة , وكان أمنيته الوحيدة في أيامه الأخيرة أن يلتقي بزوجته ، واقترب موعد تنفيذ حكم الإعدام ، وجاءت السيارة السوداء ، سيارة الإعدام ، بدت على وجهه ملامح الفرح، وارتدى كفنه تحت ثيابه ، حتى كفنه كان مطرزاً بالكلمات المقدسة، و آيات ومناجاة ، وتجمع حوله الشباب المسجونون معه ، لقد حانت لحظات الوداع ، كان يعانقهم واحداً تلو الاخر و يترنم بشعر عرفاني كان قد نظمه إستعداداً للرحيل :**

**النور ملء عيوني والحور ملك عيني**

**وكالملاك أغني لجنة وعيون**

**أرى الحياة متاعاً ورحلة وصراعاً**

**فاخترت دربي بنفسي وسرت فيه سراعاً**

**غداً تقولوا خسرنا فلتسألوا الأمس عنا**

**إن كان في الخدّ خسر فالخير أن تخسرونــي**

**أخذوه إلى سجن أبو غريب إلى أعواد المشانق المنصوبة للأحرار من شبان العراق وفتياته ، وهناك بدأت رغبته في لقاء الأحبه والأصدقاء، ولا أحد يدري لماذا لم يسمح الجلادون للقاء أي أحد من أَقاربه طيلة فتره حكمه ، لم يوافق الضابط الجلاد على تلك الدقائق الأخيرة في توديع أقرب الناس، وهي زوجته, لا حبيب، ولا قريب، ولا صديق سوى أولئك الجلادين الأوغاد لم يرغب في النظر إليهم، كان ينظر إلى حيث الجنة أن يعيش فيها في ظلال الأشجار الخالدة حياة أبدية هانئة، وجروا بندرالى أعواد المشانق، لقد تغير حكم الإعدام من الشنق إلى الصعقة الكهربائية لماذا؟ لأن بندر شتم النمرود، وحول مشهد الأعدام إلى مهرجان خطابي، ويبشر بسقوط صدام, استمر صعقه بموجات الكهرباء زهاء الساعتين حتى تحول لسانه إلى خشبة، كان عطشان وكان ذلك ظاهرا على شفتيه، التين كادتا أن تتمزقا من الجفاف البائن عليهما, ولكن الجلادين الذين استلهموا ميراثهم من يزيد، وعبيد الله بن زياد، لم يسقوه ماء، ذلك وأخيراً سكن الجسد الذي مزقته الكهرباء ، وقد عرجت الروح، وانطلقت بعيداً إلى عالم مفعم بالسلام، هكذا كان رحيل بندر، رحل وظلت قصته التي لايصدقها أحد ، ومن حق أي أنسان أَلَّا يصدق قصة هذا الشهيد ، كانت سبب زيارة خالتي لنا هوألم في رأسها طلبت شيئاً من الحبوب المسكنة اعطتها أمي حبة مع كوب من الماء، وطلبت منها الجلوس، لكي تقضي ليلتها معنا، لكنها رفضت، أجلستها أمي، وهي تتوسلها لكي تبقى بعض لحظات وتتناول العشاء مع أَمي، افترشتا الأرض جالستين واحدة قرب الأخرى بصورة متلاسقة يتبادلان الحديث واحدة تسمع هموم الأَخرى، أَما أنا رجعت إلى فراشي الذي رتبته أمي وهي تضعه في مكان كنت أرغب دوماً في أن يكون مكان نومي في أحد زوايا الغرفة.**

**الفصل الثاني**

**(حلم تحقق)**

**(1)**

**وضعت يدي اليسرى أسفل رأسي، واستلقيت، و وضعت رجلي اليمنى فوق اليسرى، ومسكت الكتاب بيدي اليمنى تحت ضوء الفانوس، الذي أَضاء الغرفة، و بدأت من حيث توقفت، غرقت في القراءة حتى إِنني لم أنتبه إلى خروج خالتي، ومن دون أن اشعر سقط الكتاب من يدي بعد أن أغلقت آخر صفحة منه، وكانت أحلامي التي لم أرها قد حلت عليه مثل ضيف خفيف عكس الليلة التي سبقتها، حيث ذهبت إلى كاتب هذه الرواية، ولكن كنت ارغب في معرفه حياته أَكثر، ولكن نحن نعيش الحلم رغماً عن إِرادتنا، في الصباح نهضت متكاسلاً، رأيت أَفراد عائلتي جالسين، وهم يتناولون طعام الإِفطار، نادني أبي :**

* **هيا انهض، سوف نذهب إلى السوق اليوم؛ لكي نشتري بعض مستلزمات المنزل من ادوات، و مواد غذائية، هل لك الرغبة في الذهاب معي ؟**
* **نعم، يا أبي سوف اذهب معك، لكي تشتري لي بعض الأشياء التي أَحتاجها.**
* **اذاً هيا انهض بسرعة.**

**جهزت نفسي، و شربت شيئاً من الحليب، وتناولت فطوري، و آرتديت ملابسي المخصصة للمناسبات ، وعند خروجنا من المنزل سمعنا صوتاً، وكان مصدره مكبرات الصوت التي وضعت فوق مناره المسجد القريب من بيتنا ، إذ إِن مولدة خاصة كانت تزود المسجد بالكهرباء ، إِن مفاد الصوت هو إرجاع كل ماهو مسروق أو تسليمها الى المساجد، اتجه بعض الناس الذين سرقوا الكثير، وأرجعوا القليل من المواد، التالفة التي لا تباع، أَو ليس لها قيمة مادية، وكانت أغلب المواد تمت سرقتها من المستشفيات القريبة (مستشفى القادسية، و مستشفى الجوادر، ومستشفى الحبيبية للولاده، ومستشفى الشماعية للأمراض العقلية)، وادعى كل من سرق بأنه قام بأَرجاع كل ماسرق إلى الجامع بحيث أَصبح هذا الأجراء مخرجاً للمجرمين السراق الذين ساهموا بسرقة ودمار البلد ، قصدنا السوق الذي يبعد مسافة قريبة ، وفي الطريق رأيت امرأة عجوزاً، تفترش أَحد أرصفة الشارع المؤدية إلى السوق، شدني مظهرها الجنوبي الغارق بحزنه السرمدي ، وأخاديد سنوات الجمر، التي وشمت على وجهها رموزاً لم أفهم معناها، وارتجاف يدها الذي كان واضحاً مثل أغصان اشجار في فصل الخريف، وهي تمسك بين أصابعها سجاره ، هذا ما صنعتها أزمنة القحط، والخوف، والترقب، والحرمان، والحروب، التي عاشها هذا الجيل الجنوبي على وجه التحديد ، المتشبث بلعنة القدر والتأريخ ، تذكرت عندها حين كنت أجلس بين يدي جدتي، وأنا طفل صغير، حينها كنت أنظر إلى عمامتها السوداء، وأتلمس بيدي مسبحتها السوداء المعلقة على جيدها، وحزنها الأسود الذي لم يفارقها، على ابنها الذي فقدته في أحدى حروب العصر التي خطط إلى أحداثها الجنرالات وهم من تقلدوا بالأَوسمة بالرغم من أنهم لم يضغطوا بسبابتهم على الزناد، كتب عنهم التأريخ فقط، لأنهم جنرالات، في ذلك المشهد تراءى لي شجن جدتي، ونواحها الحزين، حين كانت تضع (شيلتها) على وجهها، مستذكرة ابنتها التي رحلت عن الحياة، وهي في ريعان شبابها ، أو حين تنقطع أخبار أخوالي في جبهات القتال ، إبان الحرب اللعينة، الحروب كلها لعينة لسبب واحد هو ما تتركه وراءها من دمار و موت ، ترنمت شفتاي دون وعي مني ببعض ذلك النزف الجنوبي الحزين ، الذي كان يصدر عنهما ، حين استحضرته ذاكرتي مرغمة ، وأنا ما زلت أطالع المرأة الجنوبية العجوز:**

**هله وكل الهله بالجايتلي**

**وبكوارها مشجايبتلي ؟؟**

**هله بيج يبعد امي واختها**

**يملابستني بالهدوم**

**ويمشاركتني بالهموم**

**طلّي عليه بالشهر يوم**

**حبيبة ولذيذة وماي عيني**

**ياريت بيتي يم بيتج**

**ولو صحتي يمه جاوبيتج**

**بيضة وعلى المغسل تلجّين**

**اصابيع الجكاير للسلاطين**

**ثم لا يغيب عن بالها الجريح خيال ابنها، وثمرة فؤادها، فترثيه قائلة :**

**خله البيت من اسمك وطرواك**

**وخله البيت من خشة حذاك**

**واكف على راسي ونشدني**

**ويكلي احوالج ييمه**

**ماهي لايكتلي**

**وجاسج هظم لو ذاكرتني**

**ثم تقول ( أنب ) عليه آنه**

**يمه من الصوبين حاويها زماني**

**وما أترف الغزل وأحلاه عندما يختلط بتلك اللوعة، فتذكر جدي الذي فارقها، وتركها تكابد ويلات الحياة، ولكنها تفتخر بشموخه متغزلة برجولته بقولها :**

**البس عباتك واطلع ايدك**

**وشيوخ بالكهوة تريدك**

**ولبس صايته وبشته الخفيف**

**لبسهن وسيّر للمضيف**

**وكلمن يذكره يكول ياحيف**

**هله بيك ،،هله بيك ،،يابعد امي واختها .**

**تعد ( النعاوي أو النواعي ) كما تسمى أحيانا موروثا عراقيا أصيلا، تشدو به الأم الثكلى التي فقدت انساناً ، توقف أَبي أمامها، وهو يسئالها عن سبب جلوسها في هذا المكان ، فلم تجب، واستمرت بالتدخين متجاهلة وقوفنا امامها، قال لها أبي ( حجيه الجكَاره موزينه عليج ) كان جوابها وافياً عن سبب جلوسها، وسبب تدخينها السجائر، بهذه الابيات الشعريه:**

**انه من اشرب جكاره واذكر الراح**

**تطلع حسره ممزوجه بمراره**

**اسولف للكطف كل الاحس بيه**

**ومن اذن الكَطف تطلع حراره**

**بلدخان يصهرها المعاناة**

**وذبها ويه الهوه بهذا انصهاره**

**اليريد يعرف قصتي وليش اني اهنا**

**خل يلملي دخان الجكَاره**

**جلس أبي على مقربة من هذه المرأة العجوز، وبدأ بطرح أسئلة عن سبب جلوسها، واتضح ان ابنها الوحيد قد تركها قبل سنتين في دار العجزة والمسنين، ولم يسأل عنها قط، وقبل يومين تم إخراج جميع النزلاء المتواجدين في الدار بسبب عدم وجود الغذاء و تم سرقة أثاث الدار من قبل مجموعة مخربين، وقاموا بقتل كل من يحاول إيقافهم وبعد ذلك تم حرق الدار بالكامل بعد إخلائه، مسحت عينيها بقماش عبائتها، طلب منها أبي أن تحل ضيفة علينا، لكنها رفضت؛ كانت عزيزة النفس، نهض أبي متثاقلاً من الهموم التي سمعها، حاول أن يخفف منها، وهو يطلق حسراته ، استمرينا بالمسير إلى حين وصولنا إلى السوق، الذي يعرف بسوق (مريدي)، وعند دخولنا إلى السوق، كانت معظم المحلات مغلقة، وانتشار الباعة المتجولين الذين كانوا يبيعون السلع، ومواد، وأَثاثاً، وأغلب هذه السلع مسروقة، و بعض الأشخاص الذين يجلسون على كرسي متحرك، ويضع أمامه مكتباً وضع عليه مجموعة من الاختام لدوائر الدولة، و رزماً من الهوية الشخصية، ورزمة أخرى لشهادة الجنسية، و رزماً من جوازات السفر، وغيرها من الوثائق التابعة لوزارات و دوائر حكومية ، كل هذه كانت مزورة، ويتم بيع هذه الوثائق للعصابات التي كانت تتاجر بمثل هذه الأوراق مثل مستندات البيوت، و إجازات السياقة، و غيرها كانت كل هذه الأشياء متاحة أمام أنظار المارة، وبأسعار زهيدة جداً ، ومجموعة أخرى من تجار الممنوعات، وحبوب الهلوسه، والمخدرات واقفون وهم يبيعون بضاعتهم بكل سهولة، والترويج لها أمام النساء والأطفال، الذين كانوا يرتادون السوق لغرض التبضع، و مجموعة أخرى يبيعون السلاح بأنواعه من خفيف و متوسط وقنابل يدويه بانوأعها، و يحق للزبون استخدام السلاح، وأطلاق العيارات النارية بالهواء، لغرض تجربة أداء السلاح، الذي يرغب في شرائه، وهذه الظاهرة قد تسببت باصابة عدد من سكان هذه المدينة، التي كانت تنتظر لحظة الحرية، في هذا الوقت كثرت المجاميع المسلحة، و مدمنوا المخدرات ، عدنا إلى البيت، واشترينا بعضاً من الخضروات، التي ارتفع سعرها بسبب شحتها، وأثناء عودتنا إلى المنزل التقينا كل من ضرغام و صبار وهما من حراس المصرف، كانا واقفين على جانب الطريق في بداية مدخل السوق، وهما يرتديان ملابس متشابهة، نفس الملابس الرياضية، ونفس الأحذيه الرياضية التي تم سرقتها من المخازن التابعة لوزارة الشباب و الرياضة، و تم بيعها في الأسواق كانو يضعان على رأسيهما قبعات بنفس الاون، وهو الأسود، ألقى أبي عليهما التحيه كانا منشغلين بالحديث لم يرد احدهما على تحية أبي وقف أبي و القى عليهما التحية بصوت عالٍ، التفتا وهما يردان السلام بافضل منه، واعتذرا بالتحجج أنهما لم يسمعا السلام، وبدأ أبي بسؤالهما عن ذلك اليوم المشؤوم، الذي تم فيه سرقة المصرف، وقتل أبو سلام، أجابا والارتباك بدا واضحاً عليهما، وساد صمت بينهما تبادلا النظرات، واجاب ضرغام قائلاً :**

* **ااااااااااااااه نحن كنا خارج المدينة، ذهبنا إلى أحد أقاربنا في محافظة ديالى، ولم نكن موجودين ، ووووووووه وكلف أبو سلام بحراسة المصرف، والمدرسة، ولم نعلم أي شيء عن الحادثة إلأ بعد عودتنا .**
* **ومتى عدتما إلى بغداد.**
* **نحن عدنا بالأمس، ولماذا هذه الاسئلة هل من شيء ؟**
* **لا، ولكن أحببت ان اعرف سبب مقتل أبو سلام .**

**الارتباك بدى واضحاً عليهما و أجاب صبار، وهو يقول :**

* **سمعتهم يقولون إن أبو سلام هو من تعاون مع السراق على سرقة المصرف، وتم قتله بسبب انه كان جاسوساً اللأمريكان .**

**لم يكمل الحديث معهما، واكتفا أبي بتوديعهما، و أكملنا الطريق ، ماهي إلا خطوات حتى نادى ضرغام بصوت عالٍ .**

* **توقف لحظة.**

**توقف أبي، والتفت تجاهما حتى اقترب منه ضرغام، وهو شاخص عينيه، وعاقد حاجبية، وقال :**

* **لماذا تسأل انت؟ وما هو الغرض من سؤالك؟ لا تحشر أنفك في ما لايعنيك، أنت صاحب عائلة، عليك الاهتمام بعائلتك، هل فهمت ؟**

**مسح أنفه ذهاباً وإياباً باصبع السبابة، وهو منتشيٍ، ونبرة صوته تدل على الاستعلاء، والتكبر ، كنت واقفاً بين أبي وبين ضرغام، شممت رائحة فمه النتنة، وكأنما مات في داخله جرذ، وانتفخت بطنه حتى انفجرت، وأصدرت هذه الرائحة، وفي هذه اللحظات كنت أَنظر إلى أبي الذي كان هو الاخر ينظر بنظرات كانت تدل على انزعاجه من هذا الكلام، قال له:**

* **هل هكذا رباك المرحوم والدك الحاج ياسين؟**
* **ماذا تقول هل ذكرت اسم والدي على لسانك؟ سوف أقطعه وأرميه إلى الكلاب.**

**قال صبار هذه كلمات وهو يتهجم على أبي، لم يكترث أَبي على الرغم من غضبه الذي بدأ يخفيه بابتسامة خفيفة، وهو ينظر إلي، ويقول:**

* **لاعليك، إنهم جبناء،**

**حاول أبي المسير، ولكن عاد أدراجه حين ما سمع ضرغام قد شتم أجدادي، صفع ضرغام صفعة أسقطته أرضاً، فقد الوعي على إثر تلك الصفعة، وبدأ الدم يتدفق من أنفه ، وفي هذه الاثناء أخرج صبار من تحت ملابسه مسدساً كنت واقفاً على مقربة منه، واثناء ذلك التقفت من الأرض حجراً متوسط الحجم، ومن دون إرادتي ضربته على رأسه من الجانب قبل أن يقوم بتصوب المسدس على أَبي، وسقط هو الاخر مضرجاً بدمائه، قام أبي بأَخذ المسدس، و تجمهر عدد من الناس، قاموا بنقلهم إلى المستشفى القريب ، اتضخ في مابعد أَنهما كانا تحت تأَثير المخدرات و حبوب الهلوسة، وعند دخولنا البيت تساءت أَمي، وقبل أَن ترحب بعودتنا، و السؤال عن المواد الغذائيه، قالت :**

* **ما الذي حصل هل هنالك شيء ؟**
* **لقد حدث شجار بيني وبين ابنيَ الحاج ياسين ضرغام وصبار.**
* **لماذا تشاجرت معهما ؟**
* **إنهم متعاطيان، وقد تجاوزا بالكلام معي، ولابد من تأديبهما .**
* **وأين هما الأن ؟**
* **إنهما في المستشفى .**

**لطمت خديها، وتركت عليهن أثرأً، و كتمت صرخاتها، ولم تصدر صوتاً من فمها، ولكن صوت كفيها كان يملأن أركان البيت، حيث لم تأخذها راحة، ولم تجلس على الأرض، ظلت تجول من باب الدار إلى نهاية الممر ذهابًا و إيابًا بسبب قلقها من تكرار هذا الشجار بين أَبي و ضرغام وأَخيه صبار ، دخل أَبي إلى الغرفة، وقام بتغير ملابسه، وخرج، وهو يقول: سوف أَذهب إلى عمهما، ويقصد عم صبار وضرغام، خرج، وأَغلق الباب ، بعدها حاولت أَمي أَن تشغل نفسها في أَعمال البيت ، ساد الهدوء أرجاء البيت، وعاد صوت حبيبتي، الذي أخذني إلى عالمي هذه المرة، كانت لدي الرغبة في أن أبحث عن مصدر هذا الصوت، الذي يأخذني إلى عالم تكثر فيه الورود والفراشات عالم مملوء بالحب، عالم خالٍ من الضجيج، لاضجيج سوى هذا الصوت الجميل، وهو صوت حبيبتي الجميلة ، ولكن كيف أقول إنك جميلة، ولم أرى منك شيئاً كنت جالساً، وبالقرب مني أخي سامر، لم يسمع عن الشجار؛ لأنه كان يضع سماعات في أَذنيه أَلتي أَوصلها براديو من نوع قيثارة بحجم صغير، وضعه في إحد جيوب بنطاله، وهو يضع يديه أَسفل رأسه، كانت عيناه مغمضتين، وهو يضع قدمه اليمنى فوق قدمه اليسرى ، أخي سامر كان يحب العزلة والآنطواء على نفسه، هو لايكلم أحداً من أفراد عائلتي، دائماً يجلس بمفرده غامض كونه كتوماً قليل الكلام؛ حتى في بعض الأوقات يجيب عن الأسئلة بتحريك رأسه فقط؛ دلالة على القبول أو الرفض ، كان معي في المدرسة رغم أننا في مدرسة واحده، كان يرفض السير معي، أو أَن أَرافقه في الذهاب إِلى المدرسة، كان يخرج مسرعاً، غريب الأطوار، ليس لديه صديق مقرب، ولكن وهو متفوق في دروسة يمتاز بالذكاء، فهو ذكي جداً، على الرغم من صغر سنه، يقوم بإصلاح الأجهزة الكهربائية، كان محبوباً من قبل معلمي المدرسة بسسب مشاركتة في كل يوم خميس في إلقاء نشيد العلم، كنت أشعر بالفخر حينما أَراه واقفاً أَمام العلم، وفي منتصف ساحة المدرسة، وأَمام أَنظار الجميع، وهو يقول بكل فخر:**

**عش هكذا فى علو أَيها العلم**

**فاننا بك بعد الله نعتصم**

**جاءت تحييك هذا اليوم معلنة**

**افراحها بك فانظر هذة الأمم**

**إن العيون قريرات بما شهدت**

**والقلب يفرح والآمال تبتسم**

**فإن تعش سالما عاشت سعادته**

**وان تمت ماتت الآمال والهمم**

**هذا الهتاف الذى يعلو فتسمعه**

**جميعه لك فاسلم أيها العلم**

**ويصفق له التلاميذ بعد انتهائه من قراءة النشيد، وأَنا أَول من يصفق، وآخر من يقف عن التصفيق .**

**(2)**

**أَغمضت عيني، ولكن لم أنم، وأنا جالس، بدأت الحديث مع صوت حبيبتي، الذي أجهل مصدره ، وهل هنالك من يسمع صوتي كما أنا أسمع صوتاً في اعماقي ؟ عند ما طرحت هذا السؤال مع نفسي، اختفى كل شيء من حولي، وتحولت الغرفة إلى غابة مليئة بالعشب الأخضر، والورود بأَنواعها المختلفة، والفراشات ذات الألوان الجميلة، والطيور البيض والغزال يقفز بفرح، وكأنه يرقص على أنغام موسيقيه أيقنت حينها أني الآن في عالمي، ولكن لم أسمع صوت حبيبتي، التفت باحثاً عن شيء ما قد افتقدته، ولكن رأيت حصاناً أبيض جميلاً جداً كان جالساً أسفل شجرة تفاح، مربوطاً بوتد، وعند ما اقتربت منه، وقف، وتعالى صهيله، وكأنما يرحب بقدومي، انحنى من تلقاء نفسه، وثنى ركبته واذا به يأخذني إِلى حبيبتي، التي تعالى صوتها في داخلي، أصغي إليه، وهي ترتل هذه الكلمات : ماذا لو رضيت يا قلب بهذا الحب، الذي لا يتعدّى حدود حيّ شعبي ضيّق الأزقة، وتقليديّ الحارات؟ ماذا لو فتحت عينيك على شرفة تجاور بيتهم، أو شبّاك يقابل بابهم ؟ وماذا لو تجسّست على أقدام عابرة تفتح باب بيتها، وتحمل قفّة قادمة من السوق ضحى، أو محفظة راجعة من المدرسة مساء، أو حقيبة عائدة ليلا من سفر أحدثته الجامعة؟ ماذا لو فتحت الباب لتلقي تحيّة العيون على أبناء الجيران؟ ماذا لو بقيت في مكانك؟ وماذا خسرت لو عشت حبّا تقليديا يقطع تذكرته بين الأهل والجيران ؟ ماذا لو مكثتّ في شارع وحيّ وزقاق ومدينة ؟ هل كنت لتشقى أيّها القلب ؟ هل كنت لترتدي لباسا عصرياً ، هذا ما تُتمتم به فتاة سمعت صوتاً في داخل قلبها، وتلاشت شرايين الحبّ لديها بين الواقع والخيال ، وبين نقاط الخذلان الساخنة، وعطش الحبّ اليتيم، هذا ما تتمتم به فتاة تشبهني في عالمها، فتاة لا تخترق جدران الجيران بالثقب، وتكتفي بالغوص في أَعماق عالم يهوى التجوال على متن أمواج راديوية، لتعدّ لفؤادها هذا للحبّ الذي يدور بيني وبينها في عالم لا أجيد معرفة أسمه، وراء كلّ حبّ قصّة، وخلف الحبّ مفهوم واحد واضح صافٍ قلّما يصل إليه الناس، لهذا تشوبه المجازر، وتعلق عند عتبته المشاكل، وتتعفنّ من حوله الألسن ، ولا يسمّى الحبّ حبّا ما لم يبلغ القائمون عليه نضجاً انفعالياً ، فالحبّ ليس مجرّد مشاعر وأحاسيس، وليس مجرد انجذاب سطحي ، الحبّ جبل طبيعيّ التكوّن، فإن هو تكوّن صعب على عوامل الطبيعة القاسية أن تؤذيه ، والحبّ في نظري مادة عقلية يفرزها القلب؛ فتسود روحه، كم فرحة أشعلها الحلم، وكم حزن؟ كم أمل؟ وكم وعد؟ وكم ألم؟ وكم سرّ تحرّش بالقلوب الإنسانية؟ وكم طقوس أنشأها الوهم؟ واحتار في أمرها الحب، وكم ظُلم الحبّ؟ وكم قُتل؟! ستستقلّ جميع البلدان المحتلّة، ويعود جميع اللاجئين إلى ديارهم، وتعود الطيور المهاجرة إلى أعشاشها الأولى، ويعود عصر الخيل ، ويبقى ذلك القلب كالطحلب عالقاً في قاع تأريخ لا سلكي، تمارس عليه هواية الدهس التي انتشرت ، يعاني جرّاء كسوف الهمس وخسوف البصر! فلكلّ حبّ لاسلكي نسيان لاسلكي صعب أن يكون، ولكل كبسة عشق كبسة ألم صعب أن تزول ، ولكل انتظار صعقة اكتئابية لا تكاد تترك لصاحبها نفَساً صالحاً للاستعمال القادم دون الخوف من النكوص للذكرى، فـ بعض النسيان مضرّ بالصحة، وبعض الندم مفيد ، ففنجان الاستمرار بحاجة إلى أن تذوب فيه أحياناً مكعّبات التذكّر، وأكياس الندم ؛ كوني ممّن يناصرون حقيقة أن القلب هو مركز العقل وعلينا أن ننضج لنحبّ علّناً، ننضج في الحبّ، وينضج فينا ! فهل حقّا استطاع الحب أن يفرض نفسه في عالم البقاء؟هل خطير هو الحبّ هذا ، فما أكثر مرضى العاطفة من حولنا ؟ حاولت أن ارى ملامح وجهها، لم أَستطع، حاولت أَن أَلمسها لم أَستطع بسبب شيء ما كان يعيق حركتي، تكلمت معها، ولكن الكلام وقف على أطراف لساني الذي أصيب بالشلل للحظات، ولم استطع البوح بحرف واحد، شعرت بالانزعاج من عالمي الذي يتيح لي كل ما أَريد إلا رؤية حبيبتي، والحديث معها، لم استطع أن اتجاوز ذلك الحاجز العجيب الذي يحجب عني كل شيء متعلق بحبيبتي، التي أحببتها، ولم استطع أن أَبوح لها بمشاعري، ولكن مَن الذي ينبغي عليه أَن يصرّح بحبه للآخر أَولاً، الرجل أَم المرأة؟‏ وفي رَمْشَةِ العَيْنِ اختفى كل شي من أَمام انظاري ، والظلام يحيط بي من كل جانب، لم استطع رؤيه أَي شيء ماهي إِلأَ لحظات وسمعت صوت أَمي وهي تنادي :**

* **ماذا بكم أَلا يجيب أَحد ؟**
* **ماذا تريدين يا أَمي ؟**
* **عليك ان تملأ الفانوس بالنفط .**

**حينها أَيقنت أَني في بيتنا، ولم أَغادر المكان، كان الظلام قد امتد إِلى أَرجاء البيت، لم أستطع رؤية شيء سوى باب الغرفة، الذي دخل من خلاله الضوء المنبعث من السماء، كان مصدره ذلك القمر والنجوم التي تلألأت، وقفت مددت يدي إِلى أَمام، وسرت ببطء شديد لكي لا أَتعثر، تلمست مكان الفانوس، ثم مسكته بيدي، كان الفانوس دافئاً بعض الشيء أَخذته إِلى أَمي التي كانت متواجدة في سطح البيت؛ إذ إنها تعد الخبز في التنور، الذي كان في إِحدى زوايا السطح، وقامت بملئه بالنفط في ضوء مصباح يديوي صغير، الذي نستخدمه فقط وقت الضرورة ، ثم أَحذت ورقة صغيرة، وضعتها في أسفل فتحة التنور، أشعلت الورقة من نار التنور، وأشعلت الفانوس، ثم أرجعت الفانوس إلى مكانه ، لحظت أَن أَخي سامر لم يغادر المكان، ومازال متواجداً في نفس المكان، وهو يضع السماعات في أذنه، و يدندن ببعض الكلمات، التي لم أفهم معناها ، في هذه ألأَثناء هذه سمعت طرق الباب؛ توجهت لكي أفتح الباب، وقبل أن افتح الباب سألت ذلك السؤال العفوي من ؟ عرفت أَنه أَبي بعد أَن أَجاب: أنا يا هندرين، افتح الباب، وعندما فتحت الباب، كان يبتسم، وهو يدخل إِلى البيت، وعرفت سبب ابتسامته هو إنه عم صبار وضرغام، غير راضي عن تصرف أَولاد أَخيه، وأعتذر لأبي، وتعهد لهُ أنهما لن يتعرضا له في أي مكان ، و خرجا من المستشفى، وهما بصحة جيدة ، وعند خروجهما من المشفى بعدة أيام تم اعتقالهما بسبب تورطهما بسرقة وتهريب قطع من الآثار، بعدها توجه أَبي إلى الغرفة التي كانت مخصصة له، فأخرج صندوقاً خشبياً كبيراً كان يضع فيه بعض حاجاته القديمة، أخرج من الصندوق حقيبة مصنوعة من الجلد الطبيعي، وضعها على الأرض، فتح الحقيبة بعد وضعها جانباً، ثم ضغط على العتلتين الموجودتين في جانبي الحقيبة، وبدأ بأخراج ألبوم صور، وكانت الصور جميعها أَلتقطت في يوم زفاف أَبي، ثم أَخرج مجموعة أخرى من الصور التي التقطت معظمها في أَيام المراهقة، و أَيام العسكرية كان يتمعن فيها إِلى كل صورة يخرجها، وعيناه تغرقان بالدموع، يدقق النظر في اللقطات، وهو يستذكر تلك اللحظات، وكيف عاش تلك اللحظات، حتى تبين إِلي أَنه لم ينسى أَي صديق كان معه في الصورة على الرغم من كثرة الصور، وكثرة الأصدقاء، فمنهم من هاجر خارج العراق، ومنهم من توفي، أو استشهد في أثناء الحروب التي مرت على البلاد ، ثم أَخرج صورة وقبلها لفتت انتباهي وتسائلت لمن هذه الصورة وفي حين كان ينظر أخذ الفضول يسري في جسدي حتى قلت لمن هذه الصورة؟ أَعطاني أبي الصورة وبدأ يشرح تفاصيلها، وكأنما حدثت قبل دقائق، كان يظهر في الصورة أبي وفي الوسط صديقه جمال، وعلى يساره صديقه عزيز، عرفت أسميهما بعد أن قرأت ماكتبه أبي خلف هذه الصوره (أخذت هذه الصورة في ثاني أيام عيد الأضحى المبارك مع أصدقائي جمال و عزيز الساعة الرابعة عصراً في حديقه الأمة) كانت هذه التفاصيل دقيقه وأغلب الصور كان مكتوباً خلفها هذه التفاصيل الدقيقة، إذ تشير هذه التفاصيل إلى مكان وتأريخ و وقت التقاط الصورة ، ولكن ماهو السبب الذي جعل أَبي يقبل هذه الصورة؟ ترددت في أن اسأل أبي ولكن الفضول دفعني إلى معرفه السبب، فأجاب أبي قائلاً:**

* **ان هذه الصورة هي آخر صورة مع صديقي جمال، الذي بعد يومين هاجر، وانقطعت أخباره، هذا مادفعني إلى تقبيل هذه الصورة .**

**ثم أخرج صورة، وهويقول:**

* **انظر إلى هذه الصورة فأنها صورة لجبل هندرين من مسافة اخذتها بعد انسحابنا من الجبل، وتوجهنا إلى بلدة راوندوز .**
* **إنها صورة جميلة، الجبل مرتفع، والأرض خضراء، منظر جميل جداً يا أبي .**

**نظر أبي الى حائط الغرفة من جهة اليسار، حيث كانت معلقة لوحة لمنظر جميل، نهض من مكانه تاركاً ماكان يمسك في يده من صور، وأنزل اللوحة حتى تبين أثر مكان تواجدها وقد نسج العنكبوت بيته خلف تلك اللوحة ، طلب مني أن أحضر له مكنسة أحضرت له المكنسة، بدأ بأزالة خيوط العنكبوت، والأتربة عن مكان اللوحة، وبعد انتهائه أعاد اللوحة إلى مكانها حيث احتوت هذه اللوحة صورة لثلاثة خيول عربية، كل حصان له لون، الأول أسود، ويتوسطهم أبيض، والثالث أحمر وهي تركض على مقربة من جرف بحر، تاركة خلفها آثار حوافرها على رمال الجرف، وكأنما تتسابق مع الزمن، وكتب على أسفل اللوحة اسم جمال، وقبل أن اسأل عن هذا الاسم، قال أبي: هذه اللوحة قد رسمها صديقي جمال و أهداني إياها قبل أَن يهاجر بيوم واحد ، ثم أخذ يجمع الصور التي أخرجها، وكانت من ضمن هذه المقتنيات ديوان تحت عنوان تل الورد للشاعر عريان السيد خلف، وقد اهدى هذا الديوان إلى أبي، حيث كتب في أول صفحه (إلى الصديق والأخ ابو رنا) تصفحت الكتاب، و قرأت قصيدة التي كانت تحمل اسم الكتاب وهي قصيده تل الورد، حيث كان يقول فيها:**

**عاتبني ابعتابك خل ترد روحي**

**اوهسني . . ابدلالك . . ياشتل شمام**

**حتى ازهك . . وشوفك وينها اجروحي**

**بيه اشبع غرورك . .**

**يا أعز جتال**

**يتمايل غنج لو بيه . . ثكَل نوحي**

**تعاتبني اعله حالك . .**

**صار بيك الصار**

**جاشدل اجروحك هاي وشتوحي**

**كبل حبك . . جبل مالاح طرفي السيل**

**هسه اول زخاخ**

**ايغطن سفوحي !**

**ومنك ماروت يدعج بعد روحي**

**ولا رادت . . ولاسمعت . . ولاحبت**

**لاتحمل .. نجاة .. ابليل لوغنت**

**اعلمها الورع . . واطبك عليها الباب**

**تذكر ضحكتك . . واجهرت ماعنت**

**لا لامتك ليش . . وشوفك اصبح طيف**

**اشلون ابعدت عنها . .**

**اشلون ماجنت !**

**وعيونك ابغير عيونها اتهنت**

**وجفوفك ابغير اجروحها اتحنت**

**يا تل الورد . . تل آخر السباح**

**حته اطفه . . من اشوف ارويحتي انتلت**

**كلت انجفه الماي . .**

**وذبل عود الياس**

**والوادم نست**

**وبغيرنه اتسلت**

**وأول ما شفت طولك نسيت الصوت**

**وروحي بلاسبب بجفوفك افتلت**

**يا قمرة حياتي البعد ما هلت . .**

**يا انت . . وكفاني اتوهدنت وياك**

**تحسبني . . وحسبتي وياك ما فلت**

**كلمن عرف وشره . . وشال منها الشال**

**وتعده العمر والوادم اندلت**

**هسه الراح راح . . وبين ايديك الروح**

**بس ذمه ابركبتك يوم لو سلت ..**

**كتب الشعر من نسمات الروح، وغذاها بلهجة عراقية، تفيض ألقا، وشوقا، وحنينا، وعشقا خالصاً إن الأبداع يتجسد دائما في قصائد هذا الشاعر الكبير، فتراه مرة يغضب، فينسال منه تيار لايتوقف، وتارة آخرى يفيض بحنان لا ينتهي، وبحب يكسر كل الصعاب، فتتهشم أمامه كل الجبال الشاهقة، وتتفتت كل العقبات، إنه أَحد أَهم شعراء العراق ، ثم وضعت الكتاب في مكانة، فسقطت ورقة صغيرة كتب فيها أيا دمع عينيك، كيف تقرأ حروفه أن امتزجت بالكحل الجميل؟ وكيف أهجر رؤياي لعينيك أن ابتسمت عيناك بدمع على وجنتيك يسيلان؟ فأخبريني ماسر عينيك أن بكيتي؟ كيف أراني أمام سحرهما قتيلا أو قتيلا كفاك أني فيك مقتول هوى قد رتل آيات عشق قاتله ترتيلا ، في أسفل الورقه وضع أَبي اسمه وتوقيعه؛ سألت أبي عن هذه الورقة، ولمن كتبت هذه الكلمات، قال:**

* **أرجعها إلى مكانها.**

**قمت بوضعها داخل الكتاب، وتوجهت إلى فراشي، وضعت رأسي على الوسادة أخذتني مخيلتي إلى عالمي هذه المرة، كان عالماً مليئاً بالشياطين، وكأنما كنت في المكان الخاطىء، صرخت حتى فزعت من سريري، وكان قلبي على وشك أن يخرج من صدري، فتحت عيني رأيت كل أَسرتي اجتمعوا حولي، وكانت أَمي تردد، (بسم الله، بسم الله، اسم الله، الرحمن) عدتُ إلى فراشي، وكأنما شيء لم يكن، ولكن حين ما رأيت أفراد عائلتي حولي، وكأنهم ملائكة اجتمعوا حولي اطمأن قلبي، ونسيت كل شيء في ذلك الحلم المزعج، وهدأت دقات قلبي حين تحضر الملائكة المكان، لاوجود للشياطين من منا الشيطان ، ومن منا لا شيطان بداخله ، من منا حارب شيطانه ، خسر أَم ربح ، المنتصر ليس من غلب الشيطان، بل من وازن بين الملاك والشيطان الذي بداخله ، فالحياة أقسى من وجود الملائكة فقط ، وضعت يدي أسفل رأسي، وتبادر في داخلي سؤال، وهو هل يحبني الله ؟ هذا السؤال نقلني إلى عالمي الجميل، وسمعت الجواب من ذلك الصوت الذي كان أنيس وحدتي في عالمي السرمدي ، نعم، يحبك لدرجة أنك تذنب في الليل، ويوقظك في الصباح، ولم يقبض روحك ، ينتظر منك توبة، وهو ليس بحاجة لك ، ومن دون مقابل يمهلك فقط، لأنه يحبك ، هبت نسمات الهواء، واقشعر بدني، ولمحت فتاتي التي تكلمني جالسة على مقربة من كوخ قد شيد من خشب الأشجار، سرت بتجاهها لم أَستطع أن ألمح وجهها سرعان ما توجهت بأنظارها نحوي، ثم ابتسمت، ودخلت ذلك الكوخ الذي نبتت عليه الأعشاب، لم استطع التركيز، أو النظر إليها كان شيء ما يحجب الرؤية لدي، وقفت على مقربة من باب الكوخ، لم أدخل، وقفت متسمراً، سمعت صوتاً امتزج مع زقزقة العصافير، كان مصدر هذا الصوت يأتي من داخل الكوخ، وهو الصوت نفسه، الذي كنت أسمعه.**

* **ادخل؛ فأنا انتظرك .**

**دخلت، وكان الخوف يرافقني على الرغم من ذلك الجو الجميل، ورغبتي في معرفة من الذي يكلمني، وهو أنيسي عندما أكون وحدي، وأصل الخوف أن الله سبحانه وتعالى خلق النفس البشرية على طبيعة الخوف ، فقال تعالى :**

**﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً \* إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً \* وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً﴾ ولولا هذه الخاصية في النفس البشرية لما تاب إنسان ، ولما خضع إنسان ، ولا أناب إنسان ، والخوف سبب سعادة الدنيا والآخرة ، هي نقطة ضعف في أصل خلق الإنسان , ولكن هي لصالح الإنسان ، دخلت، وعند دخولي إلى الكوخ كان فارغاً من الداخل، لايوجد أي اثاث، فقط منضدة، وضع فوقها شرشف أحمر و مزهرية كان فيها الورد متفتحاً رأيتها واقفة تنظر من النافذة، وهي ترتدي فستاناً أشبه بفستان الملكة إليزابيث أنجيلا مارغريت باوز ليون، ولكن بلون أزرق باهت، ومن دون شرائط، وهو يغطي مفاتنها، وتضع على رأسها قطعة قماش بنفسجية، غطت شعر رأسها بالكامل، و ورائحة الورود تملأ آرجاء المكان ، الجو ملائم؛ إذن لنخرج معاً خارج أسوار هذا الكوخ، قلتها، وتحركت من مكاني إلى الخارج ، وضعت يدي على إحدى أشجار الزيتون، ثم خرجت هي الأخرى، قلت في داخلي من منا سيبدأ الحديث ، وما الذي نتحدث به أتساءل مع نفسي ، فجاءني الرد .**

* **سأحدثك عن كل شئ إلا نفسي .**
* **أهناك ما تخبئيه ؟**
* **لا أريد للوقت أن يتكلم، وأسمعك، وأسمعه.**
* **أنا منصت جيد؛ تكلمي .**
* **إذن من دون كلام.**
* **أنا ثرثار.**
* **وأَنا أَحُب الصمت**
* **من أَنت ؟**
* **لا أضمن لك من أَكون ، تمسك جيدا لم يعد بالعمر بقية.**

**لم أصدق بصري وهي تقف أمامي، ظننت أن مجيئها من عمل جني، خيل إلي أنني نجحت وتحقق حلمي أو مازلت أحلم، بدت لي واقفة متأهبة ومترددة. دنوت منها وقلبي يكاد يغادر صدري لينصهر ويذوب أمامها كقطعة ثلج في ماء ساخن، العشق هو الوجود والايمان والجنة، مرت بنا لحظات توارى فيها الكلام كما تتوارى الشمس عند الأصيل، وكان لابد من الخطوة الأولى لاختراق الحرج المبهم والصمت، تلعثمت وقلت لها بصعوبة بالغة:**

* **هات يدك أكتب لك عليها كلمات ربانية ، إنها دعاء يدخلك قلب كل من رآك أو اقترب منك رجل كان أو إمرأة صغيرا أو كبير.**

**مدت يدها، فتوقف قلبي في خشوع يركع للحبيبة وما أن لامست أناملها المرتعشة أصابع يدي، اختفى كل شيء التفت إلى الخلف لم أرى اي شيء اختفى الكوخ والفتاة التي كانت أشبه بملكة جاءت من العصور الوسطى قد تحول كل شيء إلى بحيرة صغيرة، وكانت تسبح في وسطها وزة بيضاء، رفرفت بجناحيها، تعلن عن وجودها أَستقيظت من لذة حلم، ونظرت إلى أَرجاء الغرفة كان ضوء الفانوس خافتاً أوشك أن ينطفئ، عدت إلى فراشي، وضعت رأسي على الوسادة أنظر الى نقطة في السقف، حيث اخذتني هذه النقطة إلى ذلك المكان .**

**(3)**

**حيث كانت تجلس أميرتي، التي عشقتها، ولم أبحُ بعشقي لها، غرفة صغيرة، وباب موصد، شباك صغير، وستارة جميلة، وبقربها منضدة صغيرة بنية اللون، وكتب لفصل دراسي ما ، ومسجلة صغيرة تبحث فيها عن اغنية تسعدها بأَحلامها، والأهم فنجان القهوة المسروق، ﻻيجوز شرب القهوة لعمر الـ16، كتب مفتوحة، وتفكير بعيد، وقفت بالقرب من تلك المنضدة، طلبت مني بأشارة منها أن اقرأ لها الفنجان، قلبت فنجانها؛ محاولاً تفسير مستقبلها؛ فهي بين اللاحب، و محاولة الحب ، انتظرت لتنشف قهوتها، وهي بهذا اﻻنتظار تمنت، وحلمت بورود على شباكها، أو طرقات حصى تخبرها أنه ينظر إليها ، وهي بانتظار قهوتها سمعت أغنية لعبد الحليم (أهواك) ، وتمنت لو كانت الكلمات لها ، قلبت فنجانها، وحاولت تفسير خطوط الفنجان لمصلحتها لتسعد نفسها ، شتان مابين شرب القهوة بعمر السادسة عشر ، وعمر الخمسين، لاحلاوة لها مع استباحة شربها القهوة متى آرادت ووقتما شاءت، أصبحت امرأة، وكتبها تغيرت، أفكارها أصبحت تحلق بغير اتجاه ، والمشترك هو البحث عن السعادة، هذه المرة قلبت فنجانها؛ ﻻ لتعرف المستقبل، بل لتعرف النهاية، و فسرت خطوط القهوة لمصلحتها ، والمسجلة أصبحت ديكورا فقط، وتلك الستارة تغير لونها إلى الغامق هربا من النور ، رن جرس الحصة، وأيقظها من حلم، عادت إلى لواقع وتبين أنها مازالت تبحث عن السعادة ، عن قهوة مسروقة، كتبت انها تحلم مثلي ، استيقظت من النوم متثاقلاً، ولم تعد إلي الرغبة في أَن أَبقى في فراشي، حاولت أن أغير من هذا الروتين اليومي في ظل تدهور الأوضاع في البلد، والخروج مع أصدقائي للذهاب إلى مدينة الكاظمية، لزياره الامام الكاظم (عليه السلام )، لم توافق أمي على ذهابي، ولم يوافقا اصدقائي أيضا؛ بسبب منعهم من الخروج من قبل ابائهم خوفاً عليهم ، تساءلت في داخلي: لماذا في عديد الدول يعطى الحق للشباب العيش بما يرونه مناسباً من فرص للحياة ، كثير منا يسمع، و يتابع لأفلام الأجنبية، ونشاهد الشاب أو الشابة وبعمر الـ 16 سنة يجب عليه الخروج للتأقلم مع الحياة، عليه ايجاد فرص عمل يشتغل ويعيل لنفسه ، ويدرس يختار طريقه، أو تختار طريقها بأنفسهم ، مع بعض النصائح القليلة من الأهل ، هنا يخرج الشاب أو الشابة واثقاً بنفسه، له من التجارب ماتجعل منه إنساناً مفيداً لنفسه ولمجتمعه، عكس مجتمعنا العربي ، فالشاب يبقى مرتبطا بأهله ماديا واجتماعيا ، وفي بعض الأحيان لايعرف العمل ، أما الشابة، فمحرم عليها العمل أو الأنتاج، والتطوير، لا أقصد هنا حرية التصرف والاخلاق نهائيا بل أقصد، أن يكون شبابنا واعياً يتحمل المسؤؤلية مع مراعاة أخلاقياتنا بوصفنا عرباً وتقاليد اجتماعية ، ما الضير في أن نعطي الثقة لشبابنا في تصرفاتهم وحياتهم ، ما الضيرفي أن نجعلهم يجربون الحياة، ويتعلمون منها ، ليكونوا على استعداد لمواجهة الحياة القاسية ، نحن نغلق على شبابنا بالقيود، ونطلب منهم أن يطيروا، لكن غير بعيدين عن إطار القفص الذي وضعناه لهم ، صحيح ظروف بلدنا الأمنية والأوضاع المتعبة تجعلهم يخافون علينا، لكن ما المانع من أن يجعلونا نجرب ، ماذا لو طلبوا منا الخروج، وترك المنزل، وأن نتدبر حياتنا بانفسنا ؟ كما يفعل غيرنا من المجتمعات؟ سينهرنا المجتمع عموما من باب (طرد أولاده للشارع) ، وسيلومهم القريب قبل البعيد بأننأ تركنا القيود، وحررناهم نساعدهم، في الاختيار وتطوير النفس ، و الحرية في العمل، و في الدراسة، و في اختيار الجامعة التي يرغب فيها ، صحيح من المستحيل أن تتطابق التقاليد بين مجتمعنا العربي والأوربي ، لكن ممكن الاستفادة من بعض الأفكار؛ لنكون جيلاً مثقفاً واعياً يتحمل المسؤؤلية شباباً وشابات ، ونحن لدينا كم هائل من الشباب المبدع ومن كلا الجنسين ، قررت أن اخرج وحدي، وأن أذهب من دون أن أخبر أحداً من عائلتي، وفعلاً ذهبت إِلى مدينة الكاظمية، وبعد انتهائي من الزيارة جلست في داخل الصحن المطهر، و في أثناء جلوسي جلست بقربي أمرأة ذات وجه جميل دائري ، ومن طبعي لست اجتماعياً بما يكفي لأجامل، فقالت :**

* **امسح مانزل منك من دموعك.**

**ابتسمت، ولم أكن أعرف أن دموعي قد نزلت على خدي ، أَعطتني قطعة قماش خضراء اللون (علگ) مسحت بدون مرآة، كانت هي مرآتي ابتسمت قائلة:**

* **لك ابتسامة رائعة، كل شى سيزول، وتذهب الهموم، لديك الصحة، وهي نعمة لديك عين ترى بها، ولديك إذن تسمع بها، هذه نعمة قم للصلاة .**

**وقفت وأَنا بين خجل منها لانها رأت دموعي، وبين خائف منها لجهلي بها من تكون؟ وبعد الانتهاء من الصلاة مسكت بيدي، وأحسست بشعور غريب ، نعم أَني بحاجة لمن يمسك بيدي، ويشد من عزمي، ويقويني أعترف أنني ضعيف لدرجة ألوهن ، شعوري بالأمان بمسكها يدي جعلت روحي مطمئنة ، شعور مفقود منذ فترة ، ظننتها عرافة ما تحاول استدراجي لتآخذ مني كم دينار ! لكن وجهها الوقور لم يحدثني سوى بالأمان، عطرها لاينسى أبدا ، شعرت بروحها الرائعة، تكلمت وحدثتني بالكثير ، لكن خوفي منها لم يجعلني أستمتع بحديثها معي ، كنت في أمس الحاجة لحديثها ، لم أشعر بالامان كما أحسستهُ معها ، لم أرغب في العودة إلى بيتنا ، قالت لي: هذا قاضي الحوائج، ويوم ما ستصل لما تطلب ، وتتذكر هذا اليوم ، أخذت مني الطاقة السلبية التي أشعر بها ، صحيح أنهم قالوا: هناك أ ناس يدخلون حياتنا صدفة، لكن ما أروعها من صدفة ! افترقنا وما زال عطرها يدور حولي، لم أشم مثله من قبل، وكلماتها أجراس تدق بأذني ، سهل طريق عودتي، لكن وقع كلماتها له أثر عجيب ، نحتاج لمن يسمعنا، نحتاج لمن يخفف عنا ، وكانت تلك السيدة أخذت مني همي ورحلت ، آخر كلمة سمعتها منها: كن أنت أنت فقط، لا تكن خيالياً، وأقول ملاكاً صادفني ، بل حقيقة إنها كانت كالضمير لي، مهما كانت أعمارنا لكننا بحاجة لمن يسمعنا ، عند وصولي إلى البيت، لم ينتبه إلى غيابي أحد، دخلت بهدوء، وجلست على بلاط الغرفة أسفل الرازونه، و الهدوء كان يعم أرجاء المنزل، إذ أن ابي كان نائماً، وأخي سامر خارج البيت، و أمي كانت مشغولة في ترتيب أواني المطبخ، وأختي رنا كانت كعادتها ترسم، ولم تنتبه لدخولي، في هذه الايام بدأت عجلة الحياه تعود إلى الدوران على الرغم من غياب الأمن وفشل واضح في إدارة الدوله، و ظهور العديد من المجاميع المسلحة، داعية انفسها بأنهم أبناء هذا الوطن، ويريدون البناء، ولكن على العكس إنهم تبعية دول إقليمية، ونيتهم تدمير هذا البلد، وعدم استقراره، غايتهم الخراب والدمار ، ولكن لابد للحياة أن تستمر، والمواطن العراقي يدفع تلك الضريبة في كل يوم، عندها تذكرت الحسين على الرغم من أني لم أنسه يوماً ، تذكرته من وطن قطعت أوصاله ، في الوجوه الطاعنة بالسن، وهي تجر عربات الجور، تبحث عن قرص خبز ينقذها من هلاك الجوع ، تذكرته عند اللاطمات على الخدود، وهن يتعثرن في المقابر على أكبادهن، الذين طحنتهم رحى الحرب ، يبحثن في المكبات ، تذكرت الحسين في عيون أطفال يتسولون في تقاطعات الطرق والإشارات الضوئية ، تذكرت الحسين في وجوه الأرامل الصغيرات والكبيرات، وهن يتزاحمن في ضجيج دوائر البلد النفطي يبحثن عن دراهم معدودات؛ عوض عن حياة بعولتهن ، في وجوه الطغاة الذين حصدوا المناصب ، تذكرت الحسين يوم تباع المناصب لأنصاف الرجال ، تذكرت الحسين عند مايدعي الباطل أنه الحق ، وتستمر هذه العجلة ونحن من يدفع الفاتورة .**

**الفصل الثالث**

**(الموت يملأ الفراغ)**

**(1)**

**مطلع نيسان 2007 ذهبت مع رنا، لكي تقتني بعض الكتب من المكتبة المركزية في الجامعة المستنصرية، كان كل شيء هادئا في رحاب الجامعة بهندستها البديعة، وحدائقها الغناء ، حيث بدأ الربيع في أَوج جماله وعطائه ، لذلك انتشر الطلاب والطالبات بين الشجيرات والزهور يتنزهون في فترات الإستراحة، وكذلك بين الممرات سواء داخل الباحة الرئيسة للجامعة بإتجاه الحوانيت المتعددة، أو نحو المدخل الشرقي للجامعة، حيث نادي ومطعم الجامعة الواسع ، الذي يستوعب أعدادا كبيرة من الطلبة ، كان الطراز المعماري الفريد للجامعة ، الذي استلهم فيه المهندس العراقي التراث العربي الإسلامي ، والنمط الهندسي للمدرسة المستنصرية، التي بنيت في العصر العباسي وما يزال بناؤها قائما على الضفة الشرقية لنهر دجلة عند مجمع أسواق بغداد القديمة ، لقد كان البناء المعماري الرائع للجامعة مثار الدهشة والإعجاب الكبير للوفود الأجنبية، التي تزورها؛ مما يجعلها تعبر عن إعجابها وتقديرها لمواهب وعبقرية المهندس العراقي، الذي أبدع في هذا الصرح الجميل ، وكانت البناية قد تم تشييدها في خلال النهضة المعمارية الكبيرة، التي شهدها العراق خلال عقد الستينيات، وكانت مشكلة المناهج معضلة دائمية، يواجهها أساتذة الجامعات العراقية، نتيجة للقرارات الإرتجالية التي تتخذها وزارة التعليم العالي ، وكان قد تعاقب على هذه الوزارة طيلة سنوات السبعينيات والثمانينيات، اي منذ أن استلم حزب البعث الحكم ، مجموعة من الوزراء، الذين لا علاقة لهم لا بالعلم ولا بالتعليم ، وكان بعضهم لم يدخل جامعة طيلة حياته، وليس فقط للدراسة بل حتى للزيارة ، كنت جالساً في إحدى حدائق الجامعة على مسطبة صنعت من البلاستيك، وأمامها منضدة بنيت من الأسمنت واضعاً هاتفي ومحفظتي عليها بانتظار أختي رنا، التي هي الأن طالبة في المرحلة الأخيرة من دراستها الجامعية، لكي نعود إلى البيت ، قلبي يعصرني لاأعرف لماذا، والعصافير التي على الشجرة بدأت أصواتها تتعالى ، جلس بقربي رجل مسن، يرتدي بنطلوناً من القماش رصاصياً و حذاء أسود وقميصاً أبيض وسترة رصاصية يضع نظارته الشمسية فوق جبهتة، ويحاول تعديلها في كل مرة، لكي لاتهبط إلى محجرية يمسك هاتفه النقال بيده اليسرى، و يضع السِّواك على الأُذُن كما يضع الكاتباً قلمه فوق أذنه، ويمسك باليد الأخرى كتاباً بغلاف أسود من دون أن يكتب عليه أي عنوان، إذا تنظر الى وجهه فتشاهد تجاعيد الزمان، و ذكرى طفل صغير كان يلعب بكامل قواه، و ذكرى مراهقة صاخبة مليئة بالمغامرات، و ذكرى شباباً جميل بين زوجة وطفلاٌ جديد تنظر إلى وجهه فتشاهد حياة كاملة مختلفة بين الأعمار، و تشاهد طفولة، ومراهقه، وشباباً، و تشاهد ألماً، وفرحة، وضحكة بين الشفاه تشاهد بين تجاعيده الحزن، وماهو الحزن في هذه الحياة تدقق بين تجاعيده، فترى مكان دمعة قديمة تسألت من دون أن أصدر أي صوت، ماهي الدمعة بالنسبه إليك جاءني الجواب: الدمعة شيء ساخن يخرج من عينيك تعبر به عن الحزن، نظرت إليه مبتسماً قليلاً، وأقول مرة أخرى : لم أفهم , اقصد لماذا الدمعة حفرت بين تجاعيدك حفراً؟ يضحك قليلاً، ويقول : سأسألك سؤالاً، الحزن كم نسبته بحياتك، تقول، وانت ضاحكاً 0% قلت هذا لأنك مراهق، وعندما تكبر سوف تشاهد الحياة، ساصرخ بحزني الأن بوجهك سأعلمك كيف تقهرك الحياة، سأرتب لك حياتي، لكي تشاهد الفرق، سكتّ قليلاً، ثم قال: وانت خائف تتمتم، وتقول هذا مسن غاضب يسترجل بالحديث، ساخط بتعابيره، يقول حكم بسرعة مواقف عجيبة تلخص تجاعيده يقول: كيف تريدني أن أعيش، وكل ماحولي يقتلني كيف تريدني أن أعيش وأقل المشاهد تقتلني أعلمت لماذا حفرت الدموع بتجاعيدي حفراً وأخذت بين حناياها مكاناً أعلمت لماذا حفرت، ولم تعد جفت يا ابني من كثرة البكاء، أعلمت لماذا أبكي؟ قهرتني حياة كبيرة بالذات، أعلمت يابني بأن الدموع للرجال قهر، وعناء لكن يابني لدي لك نصيحة لأنك صغير، ومقبل على هذه الحياة، اغلق أذنيياك وامش، ولاتصغ للناس عش لا مبالي يابني، فهذه هي حياة العظماء، أردت ان اسأله، ولكن اختفى ، رفعت رأسي من الطاولة التي أمامي، أيقنت أني غفوت دون أن اشعر كنت وحدي جالساً، حيث خرج الجميع من الحديقة، نظرت والى بداية الحديقة، حيث بابها رأيتها تلوح بيدها إنها أختي، لقد فقدت الإحساس بمرور الوقت ، ولولا الساعة التي في يدي لما عرفت أن المساء قد حل نهضت مسرعاً، ولا أعرف السبب، سرت نحوها على بلاط الحرم الجامعي حيث لم تكن وحدها كانت مع زميلاتها، سبقني بخطوات قليلة منشغلات بالحديث عن المحاضرات، كنت أسير خلفهن وحدي متوجهين إلى الباب الرئيسة للجامعة، حيث يسير الجميع ، عند وصولي إلى باب الخروج، التفتت أختي رنا، و طالبت مني أن اعطي صدقة لتك المتسولة التي تجلس قرب باب الجامعة، وفي أحضانها طفل رضيع، مددت يدي على جيب بنطالي، أتفقد محفظتي لم أجدها تذكرت حينها أني تركتها هناك مع هاتفي على الطاوله وسط الحديقة أخبرت أختي رنا أني نسيت أغراضي في مكان جلوسي، ثم عدتُ أدراجي حيث مكان جلوسي، وأنا أسير عكس اتجاه طلاب الجامعه، الذين كانوا يتوجهون إلى الخروج، كنت أسير بخطوات متمايلة، لكي لا أتصادم مع الذين يسيرون عكس مسيري، وصلت إلى الحديقه نظرت إلى مكان جلوسي، وإلى سطح الطاوله تحديداً، رأيت محفظتي وهاتفي موجودين في المكان نفسه، الذي تركتها فيه، حينها دخلت إلى الحديقه مددت يدي ماسكاً أغراضي، وأذا بدوي انفجار هز أرجاء المكان، بعدها لم أسمع صوت سوى طنين في أذني، نظرت إلى النوافذ القريبة، وقد تساقط الزجاج منها، طارت العصافير من الأشجار، وهي تعلن عن وقوع كارثة، ركضت من غير وعي إلى باب الجامعة، والأفكار اختلطت في رأسي حين ما وصلت إلى البوابة الرئيسة، وكان يرافقني ذلك الطنين الذي مازال في أذنيّ، وشعرت بضغطٍ هائل بعد وقوع الانفجار، شعرت أن قلبي على وشك الخروج من صدري، ولم أستطع التحرّك من شدّة الصدمة، نظرت إلى حجم الدمار الذي خلفه الانفجار، كنت أسعل، وأكاد أختنق بسبب عاصفة الغبار التي اجتاحت المكان ، وأشعر بطعم الرمل في فمي، وأسمع صوت أنفاسي المضطربة ، لم أستطع رؤية السماء جيداً بسبب الدخان الكثيف المنبعث من السيارة المحترقة، ولمحت فجأةً وميضاً خفيفاً صادراً عن هاتف احد الطلاب بدا أنّه مصابٌ بشدّة ، ولكنه يحاول إرسال كلماته الأخيرة لعلّها كانت لمن يحبّ، وقفتُ مُصاباً بالذهول، ولا أعرف أين سأهربُ، وأنا أسمع أصوات كانت تطلب النجد، لم أستطع أن أحصي عدد الضحايا، لكنها كانت كثيرةً جداً، التهمت ألسنة اللهب، وتمتد لتحرقَ أغصان شجرةٍ قريبة أسفل الشجرة هو مكان وقوف رنا، حيث أخبرتني قبل أن اتركها إنها تنتظرني هناك، أخذت نفساً عميقاً، واتجهت إلى هناك والحطام يصدر صوتاً قوياً عندما أضع قدمي عليه، وبدا من منظر المكان حجم القوة الهائلة للانفجار ، حيث تدلّت الأسلاك الكهربائية، والأرض مغطاةٌ بأكوام الزجاج المحطّم، والخشب، والأوراق، وركام غريب يملأ المكان، فوضى عارمة لا أجدُ كلمةً مناسبة للتعبير عمّا شعرت به، فبعد أن مشيت لمسافةٍ قصيرة سقطتُ على جسمٍ طريّ اكتشفت أنه جثّةً بشرية أو بالأحرى الكثير من الجثث نهضتُ ببطء وأنا أحبس صرختي، وأشعر بالخوف مما هو أسوأ، فحصتُ جسمي بسرعة، ورأيت جرحاً على ركبتي ، بابٌ على الأرض، وكرسي مدولب، وسط الشارع، وأوراقٌ مبعثرة كان قلبي يخفق بسرعةٍ كبيرة، لقد صدمني ذلك المشهد، وأنا أمشي بحذرٍ بين المصابين وأتأرجح قليلاً وأشعر بالدوار، كان المصابون في كلّ مكان، ومع أنني لم أرد رؤية تلك المشاهد لكنني مجبر على البحث عن أختي رنا لقد شممت رائحة الدخان الخانقة، ورائحة الجثث، والشعر المحترق ، ورائحة الدم الدافئ قرّرت البقاء صامتاً، والحفاظ على مظهري الهادئ، لكي أركزّ في البحث بين الجرحى، شدني ذلك الرجل الذي كان يسرق مجوهرات الضحايا، أي دناءة أي خسة! وذلك الشاب الذي نزع قميصه، وهو يغطي إحدى الجثث كانت لفتاه قد التهم لهب ثيابها، و بين الجثث والجرحى أتذكّر اليد التي أمسكت بقدمي محاولةً أن تلفت انتباهي، وهي تلفظ أنفاسها الأخيره كانت مضرجه بالدماء انحنيت لم استطع تشخيصها في بادئ الأمر، بسبب الحروق التي تعرضت لها، ولكن عند ما نظرت إلى عينيها كانت هي أختي رنا، وضعت رأسها في حجري أمسح الدم الذي غطى ملامحها، هنا سمحت لصوتي أن يخرج وأنا اصرخ: هل أنتي رنا؟ كانت تجيبني فقط بحركة رأسها، لم أنسى تلك النظرة التي رمقتني بها، دمعت عيناها و ابتسمت شفتاها ابتسامة جميلة، كأنها تطمئنني، كأنها تقول لي: لا بأس، يا أخي الحبيب، محاولة مد يدها تجاهي، وأذا بيدها تسقط، ثم اغلقت عينيها ، وصلت سيارات الأسعاف، وسيارات الشرطة التي كانت تقف على مقربة من مكان الانفجار، تم وضع الضحايا في السيارات، و حملت أختي إلى داخل إحدى سيارات الأسعاف، ثم طلب مني المسعف أن أساعده في حمل المصابين إلى سيارة الأسعاف كان منظراً رهيباً وضع خمس مصابين وجميعهن طالبات في السيارة، ثم نزل ليجلس في المقعد الأمامي رفض أن أصعد معهم، لأنه سيتعرض لمحاسبة قانونية، لم أجد أي طريقة للبقاء بقرب أختي المصابة إصابات بليغة، وقد فقدت الوعي على إثرها، وحروق على الوجه ، استأجرت تكسي، ولحقت بسيارة الأسعاف تعاطف سائق التكسي معي، وبدأ يهدئ من روعي، وهو يردد (حسبي لله ونعم الوكيل على كل واحد كان السبب) اتصلت با أبي، و أخبرته بتفاصيل الحادث الانفجار، و انقطع الاتصال، وصلت الأسعاف الى مستشفى الكندي، حيث نقل ضحايا الانفجار، وعند دخولي المستشفى، وعند باب الاستعلامات منعوني من الدخول، انتظرت جاء أبي احتضنته، وبكيت بكل قوة، ماهي إلا دقائق وصلت سيارة ( بيك اب ) محملة بعدد من الضحايا كانونا أغلبهم قد فارقوا الحياة لم يكن بوسعنا أن نفعل أي شيء سوى الانتظار، وما أصعب الانتظار! و بعد انتظار مده خمسة ساعات علقوا قائمة باسماء الجرحى على لوحه الأعلانات وكان عددهم ستون جريحاً ولم يكن اسم أختي من ضمن هذه الاسماء، حينها دققت مرات كثيرة حتى اغمي علي، وغبت عن الوعي .**

**(2)**

**فتحت عيني، لكنني لم أستطع أن أرى شيئاً، كان صوت العصافير بعيد حاولت أن أمسح عينيي، لكي أستعيد بصري، ولكن لم أتمكن من تحريك يدي، حاولت أن اتذكر شيئاً أي شيء لم استطع، أغمضت عيني، ثم فتحتها، كررت هذا حتى بدأت أبصر، ولكن هنالك شيء يعيق رؤيتي، حاولت أن أحرك أطرافي، ولكن مازلت لا أستطع التحكم في أطرافي أشعر برأسي ينفجر من الألم أغمضت عيني، حركت لساني، وبدا لي أنه ناشف، بل فمي ناشف، بلعت ريقي، شعرت بطعم مر في فمي، فتحت عيني بكل قوة، شعرت بالدوار، وكأنني في وسط بحر هائج، نظرت حولي فلم أجد أحداً، ثم قلت لنفسي ليس لي إلا ربي ، استيقظت في هذا المكان شعرت بالألم، والبرودة التي تخترق جسدي ! رفعت عنقي، ونظرت لنفسي وأحسست بالعراء على الرغم من أني كنت أرتدي ملابسي، نظرت حولي، ونظري مشوش بعض الشيء هذه المرة لأجد شيئاً مثل الغطاء، حركت أطرافي تحركت، وضعت الغطاء، وتكورت في مكاني أحسست ببعض الدفء، ولكن ليس الذي أعتدت أن أشعر به، حتى سقطت في النوم ، استيقظت على بقايا حلم لم أفقه منه شيئاً، ولكن هذه المرة نظري كان جيداً، ألم بسيط في معصمي، سببه (كانيولا) صحت بصوت، أريد ماءً؟ فالعطش بدأ يتغلب علي جاءني أخي سامر بالماء، ثم أبي وأمي جلسا بجواري، ينظران إلي، والحزن واضح على وجوههم، كانت أمي جالسه قرب رأسي، ومازال اثر الدموع على خديها، نظرت إلى أبي، وهو يمسك يدي تذكرت أني آخر مرة كنت مع أبي في المستشفى ، بدأ ألم رأسي يزول، وبدأت أتذكر أحداث الجامعه قبل التفجير وبعده،عادت ذاكرتي تعمل من جديد، أشعرت بتحسن عندها قلت :**

* **أين رنا وما الذي حصل بالضبط ؟**

**لم يجبني أحد، ولكن اجابتني دموع أمي ألتي لم تستطع إخفاء نشيجها، و بكائها، حينها أخبرني أبي بالتفاصيل، وكيف أني غبت عن الوعي، ومضى على مكوثي في الفراش ثمانية أيام، وخلال هذه الفترة كنت أتغذى عن طريق الوريد، ثم أخبروني أن رنا قد ماتت، كان هذا الخبر أكبر ألم تعرضت له في حياتي، كأني أحترق، كان قلبي يعتصر و ألماً وحزناً كأن انفاسي خرجت، ولم تعد لي، أنا اختنق، لأنه خبر موت أختي، لماذا ؟ تم دفن جثمانها؟ بكيت بصوت عال، نزلت دموعي ودموع أبي وأمي، كيف انسى ذلك الوجه قبل موتها بساعات، فقدتها ففقدت روحي معها، حلمنا بأن نراها بالفستان الأبيض، موت أختي قتلني ، صوت تلك الفتاة، هو من جعلني أتشبث بهذه الحياة العصيبة شيئاً فشيئاً تحسنت حالتي الصحية ، ها قد مضى أكثر من أسبوع على وفاتها ، وبعد ثلاث أسابيع من رحيلها، خرج أبي لكي يحصد لقمة العيش في صباح يوم مشمس ، وأنا لا زلت اشعر بضيق شديد في صدري ، كأن هناك صخرة تجثم عليه ، أشعر أن قلبي يخفق بشدة ، كما أني مرهق لا تقوى رجلاي على حملي لا أدري ماذا أفعل ، حل المساء و لم يعد إلى البيت يحنها بدأت الشكوك تأخذ مأخذها بعد أن اتصلنا بجميع معارف أبي، ولكن لاجدوى بحثنا في مراكز الشرطة التي كانت إجرأءاتهم روتينية ، عرضوا لنا صوراً على شاشة الحاسوب لجثث مجهولة الهوية ، وجدت في أماكن مختلفة من بغداد، لكن لم نجد أثراً لأبي في هذا المكان ، و في اليوم الثاني ذهبنا أنا وأخي سامر إلى مستشفيات بغداد ، ولم نعثر عليه في أسماء المرضى الراقدين والمغادرين ، في أثناء هذه المحاولات إلبحث ، أرشدنا أحد الأشخاص أن نذهب إلى الطب العدلي ، هنا كانت صدمة لي أنا و أخي رفضنا الفكرة في بادئ الامر ، ولكن ذهبنا إلى ذلك المكان ، وهو آخر مكان نذهب إليه بعد ما مضى على بحثنا ثلاثة أيام ، كانت وجهتي الذهاب إلى مبنى الطب العدلي ، الذي يقع في الباب المعظم ، وعند وصولي إلى الطب العدلي لم يسمحوا لي بالدخول ، اكتفى أحد الحراس الذي كان واقفاً عند الباب الرئيس كانا اثنين أحدهما كلمني ، وقال :**

* **ممنوع الدخول ، هذا أمر.**

**والآخر أشار إلي بسبابته و أبهامه ذهاباً وإياباً بأشارة إلي بأن أرشيه ، وفعلاً تم ذلك عند ما اخرجت له مبلغاً من المال لقفها ، وقال :**

**(لاتفضحنا يمعود لايحسبوه رشوة )**

**عندها دخلت مبنى الطب العدلي، وكان برفقتي الحارس، الذي قال لي ممنوع، وبدأ تبرير موقفة، سار بي داخل المبنى، الذي يحتوي على ممرات، تخلو من الحركة، وكأنها مهجورة، وصفير الصراصر يملأ أرجاء هذه الممرات، فتح باب أحدى الغرف، وعند دخولي إلى الغرفة رأيتها عارية تماماً في غرفة كان البرد شديداً فيها مصحوبة برائحة الموت، كانت فتاة في العشرين من ربيعها، ترقد ساكنة هادئة على إحدى طاولات التشريح !!! جثث أخرى ترقد هامدة، تنتظر دورها في التشريح، وعلى كل جثة علامة أستفهام كبيرة، فهذا المكان لا ترتاده إلا جثث القتلى، أو آلذين يموتون في ظروف غامضة، هذه أول مره أشاهد جثثاً بهذا الكم، في البداية صاحبني الخوف والرهبة من هذا المنظر، ولكن سرعان ما تلاشى، والسبب عند ما سمعت أسمي عند ما ناداني عمي وهو أيضاً كان يبحث في هذا المكان مبنى الطب العدلي، (حيث يقوم الطبيب العدلي بتشريح الجثث لمعرفة سبب الوفاة ) رغم شبح الموت الذي كان يرقد فوق الفتاة، و يهيمن على ملامحها، فإنها كانت بارعة الجمال، لم يستطع الموت أن يخفي قسمات وجهها المعبرة الفاتنة، أو ينال من بشرتها البيضاء، و جسمها المكتنز، غير أن شعرها الفاحم الطويل كان يخفي تحته رأساً صغيراً نالت منه المعاول والفؤوس حتى تحول إلى قطع صغيرة لا يربط بينها سوى الجلد الرقيق، هذا المنظر أنساني ما جئت من أجله، وهو البحث عن أبي ، دفعني الفضول ألى معرفة تفاصيل وسبب مقتل هذه الفتاة الجميلة ، فسألت مسؤول الردهة، أجابني: عن لسان أحد المقربين من هذه الفتاة لاحظت الفتاة انتفاخاً بسيطاً في بطنها حاولت أن تتناساه، وتعتبره عديم الأهمية، و لكنه راح يتزايد بشكل ملفت للنظر، أرادت هذه الفتاه أن تستشير إحدى الطبيبات، لكنها لم تفعل، فماذا لو قالت لها الطبية إنها حامل؟! كانت ترتعد خوفاً من مجرد التفكير بهذا الموضوع رغم أنها على يقين لم تمارس الجنس قط ، لا من قريب ولا من بعيد، حاولت أن تسأل زوجة أبيها التي حلت محل أمها ألتي توفيت على إثر حادث سير، فا متنعت خوفاً و خجلاً منها، وأخيراً تشجعت وأخبرت زوجة أخيها، وبدأت علامات الشك تبدو عليها بوضوح، فأقسمت لها الفتاة أنها لم ترتكب الأثم الكبير، ثم اتفقتا على زيارة طبيبة مختصة بأمراض النساء، لتقوم بالتشخيص، وتعرف سبب انتفاخ بطنها قبل أن يذهبا إلى الطبية نشأ خصام بين المرأة و زوجها (وهو أخ الفتاة)، و سبب الخصام أنه رأى زوجته في أحد محلات الملابس النسائية، وقد عرف عن صاحب هذا المحل أنه (زير نساء) وكاد يتهمها بشرفها، فالقتها في وجهه كالصاعقة قائلة :**

* **لو نظرت إلى بطن أختك العذراء لما نظرت إلي هذه النظرة المريبة، ولكن الأناء ينضح بما فيه .**

**كاد يجن جنونه، فذهب إلى أختة مسرعاً، وعيناه جاحظة، كادتا تخرجان من مكانهما، نظر إلى بطنها نظرة القصاب إلى نعاجه، فوجدها منتفخة فعلاً، ثارت ثائرة الأخ الذي أحس بشرفه الرفيع يجرح، و يهان، وكان لابد من غسل هذا العار ، حاولت، وأقسمت أغلظ الأيمان أنها بريئة، ولكن لم تنفع كلماتها، و توسلاتها شيئاً أمام أنظار زوجة أبيها، و زوجة أخيها مستودع اسرارها ، أخذ الأخ أسطوانه حديدية، وضرب أخته، فسقطت من الضربة الأولى، وظل يضربها، حتى هشم عظام رأسها، فهمدت في مكانها، الذي تلون بلون الدم، وأحيلت الجثة إلى الطب العدلي لمعرفة سبب الوفاة، والتأكد من بكارة الفتاة، و جاءت ورقة التقرير الطبيب العدلي كنغم حزين: (كان سبب الوفاة واضحاً إصابة الدماغ بالتهشم، والنزف الشديد) ثم بعد ذلك تم فحص (غشاء البكارة، فوجدوه سليماً، لم يتمزق و انتفاخ البطن سببهُ ورم في المبيض) إذن الفتاة كانت وما تزال عذراء، لم ترتكب الفاحشة بحسب ماقيل عنها، إنه (القتل غسلاً للعار) ثم سلم الاخ نفسه للشرطة، معترفاً و نادماً على فعلته الرهيبة، مأساة نزلت الدموع رغماً عني على هذه الفتاة .**

**(3)**

**خرجت من هذه الغرفة، و وقفت في الممر دخل أخي سامر إلى إحدى الغرف، التي فيها بعض الجثث ، تأخر في الداخل سرت تجاه الغرفة نفسها بخطوات مرتبكة، وعند دخولي إلى الغرفة، فرأيت ابي فاتحا عيناه الا انه لا يرى شيئا ولا يسمع شيئا، ورأيت أخي سامر، وهو يلقي بجسده على جسد أبي، الذي وجدناه مصاباً بعدد من الرصاصات في أماكن مختلفة في جسده، حينها بكيت أنا، وأخي على المصاب الأليم، استفسرنا: أين ومن قتل والدي؟ أجابني مسؤول الردهة قائلاً :**

* **قتل عن طريق الخطأ هو، ومن كان معه في السيارة، حيث سار السائق خلف رتل عسكري للقوات الأمريكية، واقترب منهم دون قصد، فظن الجنود أنهم يحاولون تنفيذ هجوم واستهدافهم، فتم أطلاق الرصاص، وأصابت والدكم، والسائق الذي مات هو الآخر .**

**تم أستلام جثمان أبي في أجواء حزينة، والدموع كانت تصاحبني في كل خطوة أخطوها في مراسيم الدفن ، ما زالت صورته تروح وتجيء على بالي، أتخليه وقد قام ليتوضأ، ويذهب الى الصلاة، واتخيله، وهو جالس، وهو نائم، وهو يتكلم، واتذكر أخر أيامه، وكيف كان حاله عندما كان يفرح، ويحزن، وعندما كنا في المستشفى، اتجهنا صوب محافظة النجف الأشرف على الرغم من تردي الوضع الأمني، كنت أنا و سامر، وعدد من أقاربنا ، وصلنا إلى المقبرة بعد إتمام المراسيم الدينية، يتم فيها غسل جسد الميت، و لفه بكفن، ثم صلاة الجنازة في ضريح الأمام علي (عليه السلام)، و يتم الدوران بالجنازة حول الضريح ثلاث مرات، و تتلى بعض الآيات القرانية خلال عملية الدفن، في هذه اللحظات كنت أتذكر كل كلمة قالها أبي، و صورته لاتفارق مخيلتي، لم أشعر بمرور الوقت الذي قضيناه في دفن أبي، مر كلمح البصر، كنت أتمنى أن لايفارقني بهذه السرعة، ولكن وقفت مكتوف الأيدي أمام أمر الله، هذه سنة الحياة ، عدنا إلى البيت، و في أثناء عودتنا إلى بغداد قطع الطريق من قبل القوات الأمريكية، و اجبرونا على تغيير مسار اتجاهنا نحو بستان ، توقف السائق وأنزل التابوت الفارغ، وتركه على حافة الطريق سأله احد أقاربي عن سبب إنزاله التابوت، فأجاب سوف نذهب بطريق لانعلم ماذا يخبئ لنا القدر، ولكي لا يثير انتباه المجاميع المسلحه التي تنتشر في مثل هذه الأماكن، وأنا انظر من النافذه إلى الاشجار والمواشي التي تسرح في هذا المكان، وهو في أحد أطراف مدينة بغداد، توغلت السيارة في هذا الطريق الوعر الملئ بالحصى.. توقف السائق فجأة، وهو يقول :**

**(هذا الجنت خايف منه)**

**استمر بالسير، وطلب منا الهدوء، وهو يقول : (هذول ذباحه) .. كانو منتشرين على طول الطريق، وهم يرتدون الزي الأفغاني، و يضعون على وجوههم لثاماً ويحملون أسلحة متوسطة كلاشنكوف، ويستقلون سيارات رباعية الدفع، واحدة من هذه السيارات استخدمت لقطع الطريق، أشار أحدهم إلى السائق أن يقف، توقف السائق بدأ بطرح الأسئله، قائلاً:**

* **إلى اين أنتم ذاهبون ؟**
* **إلى أقاربنا في المحموديه . أجابة السائق**
* **لماذا تسلكون هذا الطريق ؟**
* **الزحام الذي حصل بسبب وقوف الأمريكان أجبرنا على سلك هذا الطريق .**

**نظر الى من في السياره، صاح بصوت عال أنت ما أسمك أشار إلي بيده، والتف فتح الباب لم أجبه، عاد وسألني السؤال نفسه ماهو أسمك؟**

* **فادي.**
* **اعطني هويتك؟**

**مدتت يدي الى جيب بنطالي أخرجت محفظتي لم أجد الهوية ، أنا جالس بالقرب من باب السيارة سحبني، وأمر السائق أن يتحرك تعالت الصيحات رد، وهو يقول:**

* **اذهبوا وسوف يلحقكم .**

**تحركت السيارة، وأنا أنظر إليهم، و أبتسم، وكان سبب ابتسامتي أني أيقنت أنهم لم يصبهم مكروه ، علامات الخوف، والدهشة والحزن بانت على وجوههم، وهم يرمقوني بنظراتهم الأخيرة، حينها انتابني شعور غريب، لم أشعر به من قبل، صوت أحدهم، وهو جالس في أحد السيارات، وتبين أنه الامير، هكذا سمعتهم عندما كان يناديه أحدهم، وبعد أن انتها من توجيه أوامره، نعم، يا امير ، اقتادوني إلى السيارة بعدما اغمضوا عيني بقطعة من القماش، وربطوا يدي بقطعة بلاستيكية أدمت يدي حتى شعرت أن يدي ستنقطعان أدخلوني في السيارة أجلسوني بينهم، كانت رائحتهم مقرفة، وشخص في المقعد الأمامي يحمل معه جهاز لاسلكي، يصدر صوت غير واضح، لا افهم معناه ، سمعت السائق أين نذهب؟ رد عليه الشخص الذي يجلس في المقدمة إلى بيت الأمير، ثم ساد صمت، و صوت محرك السيارة هو من كسر هذا الصمت، سارت السيارة مسافة ليست بالقليلة، ولا اعرف في أي أتجاه تسير، فجأة توقفت السيارة، وأنزلوني إلى مكان لا أستطيع وصفه، ولكن صوت العصافر يدل على وجود أشجار في كل جهة، أدخلوني إلى غرفة، وأزالوا عني قطعة القماش، وظلت يدي مربوطتين بتلك القطعة البلاستيكة، نظرت إلى زواية هذه الغرفة الصغيرة مساحتها لا تتعدى الـ3 أمتار مربع، وضعوني داخلها يا إلهي، أنها لا تصلح حتى لتربية الماعز، مقرفة جداً، رائحتها نتنة، كدت اختنق، خرجوا وأغلقوا الباب، ولم ينطقوا بأي كلمة، عم الظلام في الغرفة جلست في إحدى زوايا هذه الغرفة، في هذه الغرفه لا توجد نافذة ، فقط ثقب صغير في الباب، هو المكان الوحيد الذي يمكن أن ارى ما يحصل في الخارج افترشت الأرض لأنني مجبر على الجلوس هنا في انتظار أجلي أمام باب الغرفة جلست ساعات وضعت رأسي بين ركبتي، وأغمضت عيني و يدي مشدودتان إلى الخلف في هذه الغرفة المظلمة، انتابني الكثير من الحالات المختلفة، اليأس، و التفاؤل، حالات الانهزام والانكسار، والضعف، وقلة الحيلة، حالات الثقة بالنفس، والخوف، والقلق، والتوتر، والأرق نظرت إلى نفسي في مرآة سوداء في هذه الغرفة المظلمة، رأيت مستقبلي في ظلمة حالكة، رأيت حالة بائسة، لا يمكن أن تتخيل هذا الاحساس بالضياع والحيرة، والتوتر، قررت أن أخرج من هذه الحالة، وأن أرسم صورة حبيبتي، أغمضت عيني، وبعيداً عن كل الأنام أشهق بأنفاسي بكل سلام، وأتنهد الأشواق رويدا بكل غرام، أغمضت عيني، وأتخيلك إلي قادم، أسمع وقع خطاك حين تبطئ الهفوات رويدا رويدا، هكذا تقترب من قلبي بكل هدوء، وتسترق نظرات، فعندها لم أعد أقوى على سمع المزيد من الثغرات المتوجهة نحوي، أفكر والحيرة تملأني أين أذهب واستقر؟ مرة أخرى أغمض عيني، لكي لا يراك سواي، أحاول أن اشم رائحتك للشوق، رائحة كأملاح البحر يشدك للأعماق من دون أن يصل، أبحث عنك في كهوف قلبي، وأدقق الأنصات إلى ذاتي فلا أجد انفاسي إلا غارقةً في محيطات أوردتي، وما زلت أغرق، وأحاول النجاة هيهات منك لا تنتظر قدوم اللا مستطاع من الأعماق، صوت صرخ، ودوى داخلي ابحثي عنه ولن تجديه أبدا، قالت، واختفت ولا أدري إلى أين كل ما أذكر كان لها اسمان , روحي ثانيهما، والأولى لم أعد أذكرها تبا يا معلومات دفنت وغادرتني، كل هذا و ما زلت أحدث نفسي، وانتظر أن أفتح عيني، لأن جبالاً من التخبطات تجتاحني كعواصف حب مدمرة ياويحي، كيف؟ وأن فتحت عيني ماذا سسيجري لقلبي آآآآه منك يا إحساس عاشق إلى بحر اللحظات، تهت وفي سر قلته لنفسي أن للجمال ألواناً, ولوني المفضل هو أنت، وهل تدرين يا نفسي أنه أرحم؟ ألّا تدري لا تتركني فأنا لا أتحمل وقع كلماتي لا تصغي لموسيقى التوقعات، فهناك ألحان لم تسمعها بعد عبر المعنى، وأن احتجزت الكلمات في الباطن الحب لا يؤجل، ليت الخيال حقيقة لنسخر معاً من وأقع كاد أن يتحقق بعد أن كدت أراه حقيقة، كل هذا حدث، وأنا ما زلت أغمض عيني لأفتحها على خيال واقعي، سلبني كل القوانين لحظة لم أنته، فلست ممن يجيدون العيش بالأحلام لأن حبي له أروع وأجمل حقيقة، وأن كتب الزمن سأعيش طقوس حبي معه لأريه كيف يكون الحب به أروع أحبه، لأن الزمن لن يكرر حبه من جديد لغيري، انبثقت أشعة الشمس من داخل ثقب صغير في وسط الباب الحديدي، داهمني العطش، فكرت بالصراخ لطلب الماء، امتنعت بسبب صوت يتجه نحو الباب، سمعت صوت وقوع أقدام تقترب من الباب، نظرت إلى ذلك الثقب، انقطع شعاع الضوء المنبعث منه، هنالك شخص ينظر من ذلك الثقب، ماهي إلا لحظات عاد أدراجه، وكأنما شاهد غول نهضت وتوجهت إلى باب الغرفة انخفضت، وانا أنظر من ثقب، لأرى مايدور في الخارج، لم يكن هنالك أي حركة في الخارج ضربت الباب بقدمي، وأنا أصرخ باعلى صوتي أريد ماءً أنا عطشان، أريد ماء استمريت بالضرب حتى تعبت، ولم يرد علي أحد، اتكأت على الباب، ونزلت نحو الأرض، لأن قدمي لم تتحملا الوقوف، أغمضت عيني، وتسربت الأفكار في رأسي، وساد الهدوء المكان، صوت سيارة يقترب مزق هذا الصمت وقفت لأرى مرة أخرى من ذلك الثقب، توقفت السيارة أمام الغرفة التي كنت أنا في داخلها نزل شخص من السيارة، وبحركة سريعة فتح الباب الأمامي لرجل، يجلس في مقدمة السيارة يرتدي الزي الأفغاني، طويل القامة، نحيل الجسم، أسمر البشرة له ذقن أسود، لحيته طويلة تتدلى حتى تصل إلى صدره، وعينان واسعتان رهيبتان، يجتمع فيهما سواد حالك، وبياض ناصع، ويلف على رأسه الشماغ أسود اللون، وفي يده مسبحة طويلة، وحول صدره مسبحة أخرى، حباتها سود كبيرة، ويضع على كتفه رشاش كلاشنكوف قصيرة، وقفوا ثم أشار إلى اتجاه الغرفة، ونظر تجاة الباب، فزعت وعدت أدراجي، وجلست في إحدى زوايا الغرفة ، وبعد لحظات تحركت السيارة، عدت انظر رأيت ذلك الرجل يلوح، وكأنما يودع من في السيارة، وسار تجاة الجانب البعيد من الغرفة، حيث لا يمكن رؤيته .**

**(4)**

**صرخت بصوت أريد ماء، كررتها لم يرد عليَ أحد، ضربت الباب عدة ضربات توقفت عند ماسمعت صوت خرخشه المفاتيح، تراجعت إلى الخلف، فتح الباب الرجل نفسة، طويل القامة، ذو اللحية الطويلة، يمسك بيده اليسرى قفلاً، و باليمنى مجموعة من المفاتيح، نظر بعينيه، و شرارات الشر تتطاير منهما، راح يشتمني، ثم رما بالقفل اتجاهي، فضربني على صدري، تألمت، وسقطت أرضاً، سار نحوي، و ركلني على بطني، كانت يدي مشدوده إلى الخلف، ثم ركلني ركلة على وجهي، أخذتني إلى منظر في هذا الكون عندما تطل** [**الشمس**](http://www.ar-universe.com/our_solar_system/%D8%A7%D9%84%D8%B4%D9%85%D8%B3.html) **بنظراتها البراقة، معلنة بداية نهار جديد، ووضوح الغامض الفريد، يكون قد أطل على انبساطة الأرض شعاع غالب لونه الصفار، فتخرج الطبيعة لك ظاهرة من مخبئها التي كانت متخبأة به قبل بزوغ الشمس، وهي بذلك كانت قد غطت وسترت غالب مظاهر جمالها البديع، و انبساطة أرضها، لتوهم الناظر أن الطبيعة سواد في سواد, ولكنها تنكشف بعد ذلك، فهو هذا المصباح الطبيعي قد خرج عليها، وفضح أسرارها، ليكشف سر الجمال الذي فتن الجميع به, ليتهيأ للناظر جمال هذا الكون، فيرى الأزهار المتنوعة، وكأنها أساس هذا الجمال، فتظهر له تلك الأشجار المثمرة، فلكأنها الجبال في تثبيتها للأرض، ومن ثم يظهر لك هذا البساط العشبي الأخضر ليدخل السرور والبهجة لقلب المتأمل، وما كاد المرء يستمتع بهذه المفاتن حتى يسمع صوت غدير يجري , ليلتفت فيرى هذا الجدول يلعب بين تلك الأشجار والأزهار، ولربما رأيته ينزل من تلك الشلالات التي ارتكزت على التلال الخضر، لتفتح فيها طريقاً لمجراه المعتاد , وبوجود الماء والخضرة تكون الطيور والعصافير قد قدمت على هذا المكان لتطرب مسامعها بصوت جريان الماء، وليسمع منها ما يسر القلوب ويفتح النفوس بذاك الصوت العذب، ألا وهو صوت تغريدها وهي تقوم بذلك بكل بهجة ، وفرحة بما يحمله هذا الكون من الجمال ، فتحت عيني على ضوء النهار، والم في وجهي نظرت إليها بعين واحدة، لأن عيني الأخرى مغلقة، كانت جالسة، والدمع يترقرق في عينها وهي تمسح بماء بارد على وجهي ، هل أنا أحلم !!! أشرق وجهها كأنها شمس أشرقت من وراء السحب أو القمر يغمر السماء بالضياء مشرقة الوجه كأشراقة البدر عند اكتماله، وجهها جميل، مستدير كأنه قرص شمس ساعة طلوعها، فتاة جميلة جمالاً لم تقع العين على شبيه لها في أي مكان ولم تروى القصص و الأساطير عن مثيل له ، معتدلة القوام، لانقص فيها ولا زيادة، قدها كأنة غصن البان، عيناها لوزيتان بهما كل الألوان، أنفها دقيق صغير كأنها من الأميرات تضع على رأسها كوفية سوداء (حجاب أسود)، وتترك إهمالاً أو قصداً بعض خصل من شعرها تتدلى فوق جبينها العريض، تغطي أحياناً أطراف عينيها الواسعتين شعرها من شدة سواده، اقتبس لونه من ظلام الليل الحالك، لها شعر فاحم، ترسله على كتفيها في ظفيرتين، طويلتين، فتاة رشيقة القوام، مشرقة الوجه، تفيض حيوية ونشاطاً، توقف قلمي عن المضي قدما، حار في وصف حسنها وجمالها على ما يبدو أنه لم يرى قط أجمل منها، حارت أفكاري معه، لاننا إن وصفنا شيئاً احترنا في وصف جمال الشيئ الآخر، إن وصفنا العيون، احترنا في وصف تقسيمات الوجه البالغة الروعة، حاولت وحاولت، وحاولت فأغمضت عيني، لكي يتسنى لي تذكر أو استرجاع، ولو القليل من ذاكرتي عبثاً حاولت وكل محاولاتي باءت بالفشل، صوتها عذب شذي كتغريد البلابل، أو زقزقة العصافير وقت الربيع عند ما قالت:**

* **استرح ولا تصدر صوتاً، لقد أتيتك بالماء، أشرب.**

**تعرق قلبي، و صمت لساني عن النطق، دخلت قلبي، فسكنت فيه فتاة ذات ملامح شديدة العروبه، شل عقلي وكلماتي توقفت، لانني على ما يبدو مذهول مذهول من روعة ذلك الوجه، ضائع بين كل تلك الملامح الخيالية هل أنا أحلم !!! لا ليس حلم، بل إنه الواقع أيقنت هذا عند ما بردت أحشائي، وأنا أشرب الماء، ثم قدمت لي إناء من الفاكهه التهمتها كلها ولم أبق شيئاً في الأناء، نظرت إلى يدي لقد تحررت، وقعت أنظاري على تلك الأصفاد البلاستيكيه (شناطة) اللعينة مقطوعة ومرمية في إحدى زوايا الغرفة من دون شعور، بسقت عليها، وشتمت من صنع هذه الأغلال اللعينة، مسحت على معصمي بيدي، ثم نظرت إليها فقالت:**

* **كل يوم أراك في منامي هل تصدق؟**
* **وأنا كل يوم أسمع صوتك في رأسي هل تصدقين؟**
* **نعم أصدق .**

**نهظت من مكانها، وتوجهت نحو باب الغرفه، وقالت :**

* **هيا، لاوقت لديك، عليك مغادرة هذا المكان بأسرع وقت ممكن.**
* **كيف أغادر هذا المكان وأترككِ هنا؟**

**نظرت نحوي، ودموعها فوق وجهها الملائكي، سألتها عن ذلك؟ عن سبب هذه الدموع، قالت :**

* **سوف يقتلونك، وإنهم ينوون تصوير عملية قتلك، فلهذا السبب احتجزوك هنا، سمعت أبي وهويتصل مع أفراد مجموعتة أن يوفروا أجهزه التصوير، ليذبحوك اليوم عند وقت الغروب .**
* **وأنتِ ماذا تفعلين في هذا المكان مع هذا الرجل الملتحي ؟**
* **للأسف إنه أبي .**
* **ماذا !! تقولين هل هو حقاً والدك !؟**

**هزت رأسها مرتين إلى الأسفل والأعلى عندها أمسكت يدي، وأرشدتني إلى الطريق الذي يؤدي إلى الشارع، و وعدتني، أننا سوف نلتقي في وقت قريب بعد أن أذهب، وأبلغ عن هذه المجموعة، خرجت من هذه الغرفة التي بنيت بجوار منزل أشبه بقلعة في وسط بستان كبير، يحوي الكثير من الأشجارالمثمرة، كل شيء جميل فيه إلا وجه ذلك الرجل الطويل، و الغرفة، أخذتني إلى طريق يأخذني إلى الجهة المعاكسة لباب دخول البستان، ومن هناك يمكنني تجاوز السياج، ثم إلى الشارع العام، ودعتها، و لم أسألها عن أسمها، ودعتها، وكنت أعلم أنني لن أرآها بعد اليوم، وانغمست في وسط البستان، وركضت، أفكار كثيرة تدور في رأسي، وألم كبير يعتصر قلبي، لا أدري هل اخترت الطريق الصحيح أو لا؟ ثم توقفت عند الشجرة الأخيرة، وهمست لي، متى سنتقابل من جديد؟ وقفت لحظة، ثم تجاوزت سياج البستان، أصبحت خارج البستان، وأمام الشارع أشرت الى السيارات المارة لم يتوقف أحد، واضطررت إلى الوقوف في منتصف الشارع، و ألوح بيدي حتى توقفت أمامي سيارة، فتحت الباب دون أن أنطق كلمة و جلست إلى جنب السائق الذي هو الآخر بحركة خفيفة جعل السيارة تنطلق شرحتُ له ما جرى لي حتى أوصلني إلى إحدى المفارز التابعة للشرطة، وأخبرتهم بما جرى، وعلى الفور اتصل أحد رجال الشرطة بجهازة اللاسلكي يشرح الموقف بالتفصيل الدقيق، وطلب الدعم لكي يتوجه الى مكان تواجد هذه المجموعة، وإنقاذ حياة تلك الفتاة التي انقذت حياتي من موت محقق، استغرق وصولنا إلى البستان وقتاً ليس بالقليل، دخلت إلى البستان وكنت أنا الدليل للقوات، ولكن وصلنا متأخرين بعد فوات الأوان رأيت هذه الفتاة ممدة في باب الغرفة التي أغلقت عليها، وتحتها بقعة دم اقتربت أكثر، لم أجد الرأس في ذلك الجسد الأنثوي، حينها أمسكت رأسي أصابتني اشياء غريبة، أحلام مفزعة، ورأيت مالم أره، وكان ثمة شبح يكلمني، ولاتزال الاشباح والاصداء تطاردني، لا أطيق هذا الرأس واتمنى الخلاص منه، كلما لاح الاسى بعيني كانت صورتها هي الامل بالحياة لكن الموت حذفها من قائمة القادمين وتبقيني منتظر في ذات المحطات وعمري يتوه وسط زحمة الناس وسط مشوار العمر الذي يمشي وانا متوقف انتظر فقط دون اي حراك، اقف والبرد يتلذذ بضرب عظامي اتلحف بيدي اعانق طيفك الهارب مني الى اعماقي وانتظر انتهاء العمر عاماً يعانق عاماً اخر وانا هنا، الوجوه تتغير والطقس يتغير حتى البناء العتيق تغير، في لحظة من العمر ادركت اني وحيد هل انتظرك وهماً عانقته لسنين وأضعت كل ما عندي من أجله هل كنت احلم حتى لم أدرك مرت ذات ليلة ورحلت مع أول خيط أبيض في سمائنا السوداء كالقمر الذي شبهتني به في ذلك الوقت رحلت، كم أكره القمر كلما رأيته أصابني الألم والخوف مما تبقى ومع ذلك ما زلت أمسك الوردة التي ذبلت مع أول قطرة دم سقطت على الارض من نحرك، قررت أخيراً أن انهي حياتي وقطعت وعدأً أن لا أنساك وأن أعطي القطار الابيض وجهي وارحل من هذا العالم دون عودة إلى هنا خطواتي قادتني فضلت أن انتهي، أغراني منظر الدماء في ذاكرتي وشعرت بطعمه مر في حلقي رغم كل الإنتظار لم يبقى إلا القليل سيأتي القطار وينتهي كل شيء في نفسي قلت لن يخذلني القطار هذه المرة لن انتظر دون فائدة سأبتسم، نعم سأبتسم هاهو القطار الابيض قد اقبل والحلم يسبقه هاهو هناك يجري نحوي كم أعشقك، كم أعشق رؤيتك انتظر قدومك كل صباح، ورحيلك وأرقبك بكل حب انه يقترب يكاد يلتصق بي ارتطم القطار بصدري آهاتي كسرت صراخ الواقفين صمتوا، أخرسهم الخوف ثم، تهاوى جسدي سقط على الأرض، وتوقف النبض، هكذا انتهى كل شيء لم اكن اعرف ان هذا القطار هو المنتظر، هكذا انتهى كل شيء .**

**(انتهت)**

****

[**Insanfirst@gmail.com**](mailto:Insanfirst@gmail.com)

**+201113393920**

**صفحة الدار على فيس بوك**

[**https://www.facebook.com/insan.pub**](https://www.facebook.com/insan.pub)